

جهود البابوية في مساندة الإمارات الصليبية في بلاد الشام 589\_690هـ / 1193\_1291م.  
**The Papal Efforts in Supporting the Crusader Emirates in the  
Levant 589\_690AH / 1193\_1291AD.**

<p>د. طوهارة فؤاد مخبر التاريخ للأبحاث والدراسات المغاربية جامعة 8 ماي 1945 قلمة، (الجزائر)، touhara.fouad@univ-guelma.dz</p>	<p>عبد الرزاق زعيبي (*) مخبر التاريخ للأبحاث والدراسات المغاربية جامعة 8 ماي 1945 قلمة، (الجزائر)، zaabi.abderrazak@univ-guelma.dz</p>
---	--

<p>تاريخ الاستلام: 2022/06/ 13 تاريخ القبول: 2022/08/ 03 تاريخ النشر: 2022/10/ 11</p> <p>لقد تناولت الدراسة مساهمة البابوية في صمود الإمارات الصليبية في بلاد الشام، خاصة بعد استرداد المسلمين لبيت المقدس وفشل الحملة الصليبية الثالثة، وأصبح الصليبيون في الشرق في حاجة ماسة إليها ولإمكانياتها ومساعداتها حتى تتمكن الإمارات من الاستمرار والبقاء في الشرق، وعليه جاءت هذه الدراسة التاريخية للبحث عن حقيقة جهود ودور البابوية كمؤسسة دينية دعت لحروب عسكرية على بلاد المسلمين خلال القرن الثاني من مرحلة الحروب الصليبية، أي القرن الثالث عشر الميلادي السابع للهجري.</p> <p>اتضح لنا انه رغم النجاح الذي حققته البابوية في دعم الإمارات الصليبية في الاستمرار لقرن آخر من الزمن، خاصة بعد استرداد المسلمين لبيت المقدس 583هـ/1187م. إلا أن صراعها المرير والطويل مع الإمبراطورية جعل منهما أكبر سببين في زوال الإمارات الصليبية في بلاد الشام.</p>	<p>الملخص</p> <p>الكلمات الدالة</p>
---	-------------------------------------

<p>Abstrac:</p>	<p>The study dealt with the papacy's contribution to the steadfastness of the Crusader countries in the Levant, especially after the Muslims' recapture of Jerusalem and the failure of the Third Crusade. indeed, the Crusaders in the East became in need of Papacy, its capabilities, and its assistance so that the countries could continue in the East. Accordingly this historical study came to search for the truth of the efforts and role of the Papacy as a religious institution that called for military wars against Muslim countries during the second century of the Crusades phase, that is, the thirteenth century AD. Seventh Hijri. It became clear to us that</p>
-----------------	---

\* المؤلف المرسل.

despite the success achieved by the papacy in supporting the Crusader emirates, it continued for another century, especially after the Muslims recovered Jerusalem in 583 AH / 1187 AD. However, its bitter and long struggle with the empire made them the two biggest reasons for the demise of the Crusader emirates in the Levant..

Keywords: Levant; Crusader emirates; papacy; empire; Crusades.

## 1. مقدمة :

تعتبر الحملة الصليبية الثالثة من الحملات الفاشلة في تاريخ الحروب الصليبية، لأنها لم تحقق من النتائج ما يتناسب مع ما بذل فيها من جهد ضخم، فضلا عن أنها لم تنجح في تحقيق الهدف الذي جاءت من أجله وهو استعادة بيت المقدس من أيدي المسلمين بعد خسارتهم له في موقعة حطين 1187م / 583هـ، وعاد ملوك أوروبا يجرون أذيال الخيبة. وهنا ساءت أوضاع الإمارات الصليبية في بلاد الشام وفقدت مكانتها وريادتها في المنطقة لصالح المسلمين مع بروز قوة الأيوبيين، وكان لزاما عليها البحث عن قوة داعمة لها ووجدوا في البابوية خير حليف، كيف ولا وهي في الأساس من دعت للحروب الصليبية وباركتها وشجعته وأعطت الامتيازات للمقاتلين للاشتراك فيها ومنحتهم الامتيازات الروحية والمادية وشارك مندوب بابوي في كل حملة من الحملات الصليبية.

وخلال هذه الفترة أي أواخر القرن الثاني عشر وبداية الثالث عشر ميلادي برز نجاح البابوية ضد مسلمي الأندلس، فسنحت الفرصة للماسك بزمم المبادرة والتوجه نحو دعم صليبي بلاد الشام من جديد بعد سقوط بيت المقدس في يد المسلمين.

وحقيقة لم تجد البابوية وسيلة ناجعة لتجسيد أهدافها على أرض الواقع والمتمثلة في دعم الإمارات الصليبية واسترجاع مقدسات المسحيين كما تدعي، سوى التجهيز والإعلان عن حملات صليبية عسكرية تقتمص رداء دينيا وتحمل شعارات مقدسة في شكل رحلة حج عسكرية اتجه أراضي المسلمين.

لكن هذا الدعم البابوي للحملات الصليبية كان يخفي في ثناياه أهدافا سياسية لمؤسسة دينية رغب قادتها في السيطرة الروحية والدينية على كل السلطات في ذلك العصر وتلك الفترة

بالخصوص، وبرز ذلك في صراعها المير مع الإمبراطورية، هذا الصراع الذي سوف نرى كيف ساهم في تراجع نفوذ الصليبيين في بلاد الشام وخروجهم من ديار المسلمين. وهنا سوف نتساءل عن حقيقة دور البابوية في دعم الإمارات الصليبية في بلاد الشام وما هو هدفها الحقيقي من ذلك؟ هل هو تخليص الأماكن المقدسة في بلاد الشام من سيطرة المسلمين أم كانت لها مصالح خاصة من وراء ذلك؟ وإلى أي مدى نجحت في مساندة الصليبيين في بلاد الشام؟

للإجابة عن هذه التساؤلات، وفك هذا الإشكال اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، وأيضاً على استقراء بعض الأخبار والأحداث واستخلاص ما يمكن منها محاولة لتبيان صورة واضحة للدور الحقيقي الذي لعبته البابوية خلال القرن الثاني من الحروب الصليبية.

والهدف من هذه الدراسة هو معرفة دور رأس المؤسسة الدينية المسيحية المتمثل في البابوية، في الحفاظ على الكيان الصليبي المتواجد في بلاد الشام ودعمه بشتى الطرق والأساليب لبقائه في قلب العالم الإسلامي، خاصة مع ظهور بوادر الوحدة وبداية استرجاع المسلمين لممتلكاتهم في المنطقة الواحدة تلو الأخرى.

## 2. أوضاع الإمارات الصليبية بعد الحملة الصليبية الثالثة:

غلبت الانقسامات الداخلية والخلافات الحادة على أحوال الصليبيين في بلاد الشام، وخاصة بين الإمارات الصليبية فيما بينها، وتمحورت هذه الخلافات حول الوصاية ووراثة السلطة، وأيضاً الخطر الكبير الذي بدأ يهدد كيانهم ويطرق باب زوالهم، وهي الدولة الأيوبية خاصة أن الصليبيين لم يتمكنوا بأكبر حملاتهم أن يسترجعوا ما فقدوه على يد صلاح الدين، وكان كل ما حقق في الحملة الثالثة لا يمكنه أن يوصف بالإنجاز الكبير، خاصة إذا علمنا أنهم خسروا بيت المقدس وأصبح في يد المسلمين، وكان هو الهدف الرئيسي لهذه الحملة ويمكن القول أن إنجازها الوحيد هو استرداد إقليم الساحل من صور إلى يافا<sup>1</sup>.

وفقدت المملكة هيبتها الأولى وتقلصت حدودها وتحول مركزها إلى عكا، إلا أن الصليبيين أصروا على إطلاق التسمية القديمة عليها (أي مملكة بيت المقدس)<sup>2</sup>. وأصر أمراؤها على تسمية أنفسهم بالملوك كما كان الحال من قبل.

كما كان من تبعات الحملة الثالثة ازدياد عوامل الشقاق بين الصليبيين في الشام، وظهر هذا بوضوح بين الفرنسيين والإنجليز في أثناء الحملة، وظلت قائمة بعد رحيل الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد من الشرق، الأمر الذي أدى إلى إضعاف مركز الصليبيين في تلك الفترة الحرجة.<sup>3</sup>

وهكذا صار الوضع في بلاد الشام عند نهاية القرن الثاني عشر، يتلخص في سيطرة الصليبيين على شاطئ البحر، وسيطرة المسلمين على داخلية البلاد، الأمر الذي جعل الإمارات الصليبية أكثر ارتباطا بالغرب الأوربي وأكثر اعتمادا عليه، وعلى أساطيله في الدفاع عنها وحمايتها.<sup>4</sup>

والجدير بالذكر أن المصادر العربية أشارت إلى اعتماد الصليبيين على الغرب الأوربي من خلال تواجدهم في سواحل بلاد الشام، ولم تغفل استغاثة الصليبيين بهم، ويقول في ذلك ابن اثير: >> وكان قد وصل إلى الساحل جمع كثير من الفرنج في البحر، لزيارة بيت المقدس، فاستعان بهم الفرنج الساحلية فأعانوهم فصار بعضهم معهم، وأقام بعضهم في البلاد لحفظها <<.<sup>5</sup>

وكان للأساطيل التجارية الإيطالية الدور الكبير في دعم الإمارات الصليبية، سواء اقتصاديا أو عسكريا، وكان لها الفضل في ربط موانئ الصليبيين في بلاد الشام بالغرب الأوربي. حقيقة هذا الموقع والتواجد الجديد للصليبيين في بلاد الشام يمكن القول أنه كان نعمة ونقمة عليهم في نفس الوقت، نعمة من حيث سهولة التواصل مع الغرب الأوربي والحلفاء في البحر، ونقمة بحيث جعل من الإمارات الصليبية أكثر ارتباطا بالغرب، وسهل على المسلمين حصارهم، وساهم في التدخل المباشر من طرف البابوية، وملوك وأباطرة أوروبا في الشأن الصليبي الداخلي في بلاد الشام<sup>6</sup>، وهذا ما لم يكن عليه الحال في القرن الأول من التواجد

الصلبي في بلاد الشام، مع أنها ظلت متواجدة دون مساعدات كبيرة تقريبا من أوروبا، لكنها استعدت لدخول القرن الثالث عشر ميلادي ويدها ممدودة استجداء لأوروبا، وأصبحت موانئ الصليبيين في الشام دون عمق استراتيجي، والطرق لم تعد آمنة والمجاعة محدقة بالفرنج، ولم يعد في مملكة بيت المقدس بعكا احتياطي كاف من الطعام، وأصبحت الموانئ المصرية مسيطرة على الطرق التجارية في تلك الفترة .

في هذه الفترة كان حاكم مملكة بيت المقدس الاسمية هنري دي شامبني ( 1192-1197م / 588-594هـ )<sup>7</sup>، الذي تميز بنشاطه وحرصه الدائم على تدعيم وإحياء المملكة، واستطاع إعادة الهدوء ولو مؤقتا في الإمارات الصليبية بفضل سياسته وحكمته وميله الى المسالمة ومهادنة المسلمين في تلك الفترة، بسبب ازدياد عوامل الشقاق والفرقة بين صليبي الشام، إلا أنه واجه عقبات من جانب جي دي لوزجيان<sup>8</sup> من ناحية والبيازنة من ناحية أخرى<sup>9</sup>، خاصة أنه في ذلك الوقت كان جي دي لوزجيان قد استولى على مقاليد الحكم في جزيرة قبرص، وأخذ يفكر في استعادة عرشه المفقود بالشام، فاتصل بالأيوبيين ثم البيازنة لتحقيق حلمه<sup>10</sup>، فالملاحظ أن مملكة بيت المقدس في عكا كانت تعرف في هاته المرحلة صراعا كبيرا على الحكم بين أمراء الصليبيين، كل يدعي أحقيته بالحكم وهو أولى بها من غيره، وهذا سوف يساهم في ضعفهم وتشتتهم وأيضا شجع على مهاجمتهم والقضاء عليهم.

ولم تكن إمارة أنطاكية شمالا بأحسن حالا من مملكة بيت المقدس، خاصة وأن مكانتها الاستراتيجية بالنسبة للصليبي الشام، وذلك ببروز خطر الأرمن ورغبتهم في الاستيلاء عليها نتيجة السياسة الضعيفة التي اتبعها أميرها بوهيمند الثالث (1163-1201م / 559-598هـ)، وكان قد خسر أمام المسلمين كل من جبلة واللاذقية 1188م/584هـ<sup>11</sup>، وبقت أنطاكية معزولة عن طرابلس وبقية أملاك الفرنج في الساحل الشامي ومحرومة من ميناء اللاذقية، وفقدت موردا اقتصاديا وبشريا وحتى عسكريا هاما، وبعد ذلك ساء وضعها وانتشرت فيها الفوضى السياسية والصراع على تولي الحكم بعد وفاة أميرها بوهيمند الثالث<sup>12</sup>.

وفي خضم هاته الأحداث شهدت إمارة طرابلس تغيرات سياسية وإدارية بالغة الأهمية في أواخر القرن الثاني عشر ميلادي، السادس للهجري، وذلك بانتقال حكم الإمارة من أيدي البيت الطولوشي<sup>13</sup>، الى حوزة البيت النورماندي<sup>14</sup>، تحت حكم بوهيند الرابع (1187-630/583-1233هـ)، الذي استطاع رغم صغر سنه وقلة خبرته في شؤون الحكم أن يعبر بإمارة طرابلس في تلك الفترة العصيبة في سلام، وهكذا يمكن القول إن الهدوء والاستقرار ميز هذه الإمارة عن البقية، وأيضاً برز خلال هذه الفترة ظهور ارتباط وثيق بين إمارتي طرابلس وأنطاكيا<sup>15</sup>. ويقول الأستاذ مؤنس عوض حول الصراع الصليبي في بلاد الشام: "إن الصليبيين أثبتوا بتلك الخلافات الدموية المريرة أنهم ليسوا أصحاب قضية حقيقية، بل غزاة همهم الأكبر جمع المال ولا شيء غيره، بدليل أنهم عندما اختلفوا بشأنه تقاتلوا وتناحروا على نحو أفاد المسلمين من حيث لا يدرون، ويصدق عليهم القول بأنهم شاركوا بذلك في صنع انتصارات المسلمين الذين دافعوا بالفعل عن قضية حقيقية لأنهم أصلاً أصحاب الأرض التي قدموا من أجل سلبها ونهبها"<sup>16</sup>.

حقيقة ساهم هنري دي شامبني في استعادة الهدوء للإمارات الصليبية، ونجح في إعادة مملكة بيت المقدس الى زعامة الإمارات الصليبية الأخرى، في انتظار تحرك أوروبي يعوض فشل الحملة السابقة، خاصة بعد الخسائر التي حلت بهم في بلاد الشام<sup>17</sup>.

ويمكن القول إنه من حسن حظ الصليبيين، لم يكن حكام السلاجقة في اسيا الصغرى والأيوبيين في وضع يسمح لهم بالقيام بحرب للفتح والتوسع في تلك الجهات، وبالتالي لم يستغل المسلمون هذا الانشقاق والنزاع الصليبي وضعفهم، فقد أعقب وفاة السلطان السلجوقي قلع أرسلان الثاني<sup>18</sup> في عام (588 هـ / 1192 م)، اندلاع حرب طويلة الأمد بين أبناءه، وكان الظاهر غازي<sup>19</sup> صاحب حلب على جفاء مع عمه العادل<sup>20</sup>، فأحجم عن فتح جبهة خارجية مع أنطاكيا<sup>21</sup>.

أي أن الحملة الصليبية الثالثة لم تجد في حقيقة الأمر حلاً للصعوبات التي كانت تعاني منها الإمارات الصليبية في بلاد الشام، وهنا سوف نحاول البابوية إمساك مشعل دعم ومساندة

صليبي بلاد الشام بجميع الطرق والوسائل، خاصة بعد فشل الملوك والاباطرة؛ أي القادة العلمانيين، في الحملة الثالثة، وتبدأ البابوية في الاعداد و الإعلان لحملات صليبية جديدة من الحملة الرابعة الى السابعة دون توقف مسخرة كافة إمكانياتها، رغم ما حقته هذه الحملات من إنجازات أو فشل في الوصول الى ما تريده، و قبل أن نفصل في جهود الكنيسة البابوية خلال هذه الفترة (1193-1291 م / 590 - 690 هـ)، و جب علينا القاء نظرة على أحوالها وأوضاع الغرب الأوربي خلال هذه المرحلة من الصراع الإسلامي الصليبي، لأنه من خلال ذلك يتضح لنا نجاح أو فشل الحملات الصليبية، وتأثير الأوضاع في الغرب اللاتيني على الحياة في جميع نواحيها في الشرق، و هنا تبرز لنا دوافع و أهداف البابوية في توجيه الحملات الصليبية نحو بلاد الشام و دعم الامارات هناك.

### 3. أوضاع أوروبا السياسية بعد الحملة الصليبية الثالثة:

لم تكن أوروبا في أحسن أحوالها آنذاك، بل كانت تعيش في أصعب الظروف من حروب داخلية أتهكت كل الاطراف، خاصة إذا علمنا أن الأوضاع السياسية في أوروبا لعبت دورا كبيرا في موقف الغرب اللاتيني من القضية الصليبية، بدعمها ومساندتها أو إدارة ظهرها لها وعدم الاهتمام بما يحدث في الشرق، لأن الصراع على السلطة والحكم في الغالب يكون هو صاحب التأثير الكبير على عدم الاهتمام بالإمارات الصليبية في بلاد الشام.

وكانت هذه القلاقل والاضطرابات مستمرة خاصة في العقد الأول من القرن الثالث عشر ميلادي السابع للهجري، حالت بينها وبين إعلان القيام بحملة صليبية فعالة ضد المسلمين، ودعمها للصليبيين في الشرق ساعدت تلك الظروف في أن تكون للبابوية اليد العليا في أوروبا كلها<sup>22</sup>.

فمن المعروف أن الغرب الأوربي في العصور الوسطى شهد نزاعا حادا بين البابوية والإمبراطورية<sup>23</sup>، استمر من 1057 م / 456 هـ الى عام 1250 م / 648 هـ، تقريبا وهي تغطي فترة ما قبل الحروب الصليبية الى قرب نهايتها، وهذا ما سوف يكون له تأثير على موقف

اللاتين من الحملات الصليبية، وعلى مركزهم في بلاد الشام بسبب صراع المصالح بين السلطتين الدينية والزمنية<sup>24</sup>، أي من له السمو والنفوذ والكلمة الأولى في العالم الغربي البابا أو الامبراطور؟ وتعتبر هذه الفترة أي من بداية القرن الثالث عشر للميلاد السابع للهجري أشد فترات الصراع بين الإمبراطورية و البابوية ، بحيث برز من جانب الإمبراطورية الامبراطور فريدريك الثاني (1212 - 1250 م / 609 - 648 هـ)<sup>25</sup>، ومن جانب البابوية انو سنت الثالث (1198 - 1216 م / 595 - 613 هـ)<sup>26</sup>، ويبدأ الطرفان في صراع مرير وطويل في الغرب الأوروبي ، حتى وصل بينهم الأمر بأن توجه الحملات الصليبية ضد بعضهما البعض، أي بين البابوية و الإمبراطورية ، و ليس لمساندة الامارات الصليبية ، ومثل ذلك أن فريدريك الثاني قرر غزو الأراضي البابوية في فيفري 1240 م / 637 هـ، فلم يجد البابا مفرا من إعلان حملة صليبية ضد فريدريك، وأرسل مندوبيه الى أنحاء أوروبا كافة للدعوة لذلك، واستبدل القسم الخاص بالمشاركة في الحملة الصليبية اتجاه الشرق بقسم آخر خاص بحروبه ضد فريدريك وقال : "إن المسيحية في خطر محدث، الأمر الذي جعل العمل العسكري امرا لا مفر منه".

وهذا يشير الى التطور الذي طرأ على مفهوم الحركة الصليبية آنذاك، فبعد الحروب ضد المسلمين والمهاطقة أصبحت الحملات توجه ضد امبراطور اوروبي لخدمة البابا، في الوقت الذي كانت فيه الإمارات الصليبية في بلاد الشام بحاجة ماسة لمساعدة من أوروبا لها<sup>27</sup>. وأيضا خلال هذه الفترة أي خلال القرن الثالث عشر ميلادي السابع للهجري بدا ان الغرب الاوروبي قد لبى الدعوة الصليبية، لكنها بروح غير الروح، وحماسة غير الحماسة التي لبى بها الدعوة لتلك الحروب عند نهاية القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر، وكانت جميع الدلائل والشواهد تدل على إن عصر إربان الثاني قد مضى وولى، ليفسح المجال أمام أفاق جديدة وعصر جديد هو عصر النهضة الأوروبية، ونمو المدن وتضخم نشاطها الاقتصادي و نمو الملكيات وظهور الآراء والمذاهب التي انتقدت الكنيسة واستهدفت الحد من سطوتها، وكان من الصعب في عصر شهد كل هذه التطورات أن يظل الناس عبيدا للكنيسة و رجالها، وأن يستنفدوا كل طاقاتهم و إمكاناتهم في حروب ضد المسلمين أثبتت التجارب عدم جدواها وقلة نفعها<sup>28</sup>.

وساعدت تلك الحروب في ان تكون للبابوية اليد العليا في أوروبا كلها، حتى عد أنو سنت الثالث نفسه خليفة الله في الأرض والحكام والملوك أتباعه، وقد بلغت البابوية أوج عظمتها وقوتها في عهده بعد أن أصبحت أوروبا كلها تحت رحمته، وبعد أن دانت له دول الغرب كافة بالولاء ، خاصة أن شخصية الامبراطور الألماني فريدريك الثاني لم تكن قد برزت في فترة أنو سنت الثالث بقوة على المسرح السياسي آنذاك<sup>29</sup>، و هكذا خلت الساحة تماما للبابا ليندفع بكل قوة للسيطرة على جميع السلطات ويبلغ السمو البابوي الذي يحلم به ، فالقسطنطينية أمست عند قدميه بعد أن فض حصانتها للمرة الأولى منذ بناها قسطنطين<sup>30</sup> جنود الصليبيين في الحملة الرابعة 1204 م / 601 هـ، و صليبية أخرى تحقق نصرا ضخما على الموحددين في الاندلس 1212 م / 609 هـ "موقعة حصن العقاب"<sup>31</sup>، والملك الألماني الجديد يبدي الطاعة و إن كان ممتعضا خاصة مع قرارات الحرمان<sup>32</sup> من تحت كرسي "نائب المسيح" تترى فوق رأسي ملكي فرنسا وإنجلترا، وأصبح يتدخل في كل المشكلات السياسية الكبرى في أوروبا ويغرق الكنيسة في الشؤون السياسية لأوروبا للحد الذي يصبح فيه ذلك "عمله الرئيسي"، وهو المسؤول عن اختيار الأباطرة و إقرار سيادة الدولة البابوية<sup>33</sup>.

وبعد صراع طويل وميرير ضد الإمبراطورية، فقدت البابوية سموها وسيادتها الدينية والروحانية بصورة تكاد تكون كاملة، بعد أن قتلت آخر ورثة الهوهنشتاوفن وكان ذلك 1268م / 667هـ، وقد خلت الساحة من منافس سياسي بعد أن تحطمت الإمبراطورية على يد البابوية<sup>34</sup>.

حقيقة الفترة التي كانت فيها الإمارات الصليبية في حاجة لدعم ومساندة من أوروبا، كانت أوروبا غارقة في عديد الصراعات، لكن البابوية لم تخفى عليها ذلك ولم تشأ أن تترك صليبي الشام لمصيرهم المهول خاصة بعد فشل الحملة الثالثة، وسوف تسخر جميع إمكانياتها الدينية والمادية في دعم الإمارات الصليبية في الصمود لمدة قرن اخر في بلاد الشام.

#### 4. البابوية والإمارات الصليبية في بلاد الشام:

بعد أن فشلت الحملة العلمانية التي قادها ملوك أوروبا الثلاث العظام (ريتشارد قلب الأسد إنجلترا، وفيليب أوغسطس فرنسا، وفريدريك بربروسا المانيا)، في تحقيق أي نجاح مؤثر على مسيرة الحركة الصليبية، جاءت هنا الفرصة للبابوية لتقوم بالدور الذي كانت تبحث عنه، لا بل بالعكس هو في الأساس عملها الذي بدأت في الحملة الصليبية الأولى مع إربان الثاني. وفي خضم تلك الظروف التي كانت سائدة في الغرب الأوروبي، وأيضا في بلاد الشام مع بروز السلطنة الأيوبية كقوة محرّكة وموحدة للمسلمين ضد التواجد الصليبي بزعامة صلاح الدين وخلفائه أصبح إرسال حملة صليبية والمحافظة على التواجد الصليبي في المشرق الإسلامي أمرا ليس بالهين.

وعلى أي حال لم يكن من الممكن أن يقوم بهذا العمل الكبير في ذلك الوقت سوى البابا أنو سنت الثالث (1198-1216م / 595-613هـ)<sup>35</sup>، الذي كان يرى أنه لا مجال لحملة صليبية يشرف عليها ملوك أوروبا، ويقتصر دور الكنيسة اللاتينية فيها على دعوة مسيحيي الغرب للمشاركة فيها<sup>36</sup>، بل رأى أنه لا يمكن ان تخرج حملة دون السيطرة المطلقة والسيادة الكاملة عليها لغير البابوية، وجعل من الفكرة الصليبية هدفه في أوروبا والمشرق لمواجهة أعدائه وتحقيق السيادة البابوية على جميع المناطق، وأفصح عن ذلك بقوله: "كما أن القمر يستمد نوره من الشمس فان السلطة الزمنية تستمد سلطتها وكرامتها من البابوية"<sup>37</sup>.

وعرفت هذه الفترة كما رأينا سابقا أوضاعا متوترة في الغرب الأوروبي، واقتنع البابا بأنه سيد العالم *domus mundi* بلا منازع، فلم يكن لأي شيء يعوقه عن تحقيق أهدافه<sup>38</sup>، وكانت الفرصة مواتية له لإعلان حملات صليبية ضد المسلمين ودعمًا للإمارات الصليبية في بلاد الشام، حتى تتمكن من استرداد بيت المقدس من المسلمين ومساعدتهم وتشجيعهم على الصمود والبقاء في الشرق، الذي رأت البابوية بأنه يهيمنها عليه خطط خطوة كبيرة لبطس سيادتها على العالم، ويزيدها ذلك قوة في فرض سيادتها على السلطة الزمنية، بالإضافة الى ترسيخ سلطتها الروحية.

ومن الجانب الآخر أي الامارات الصليبية، لم تكن في أفضل حالاتها كما رأينا سابقا، ولم تكن تستطيع الصمود والاستمرار لولا تلقي المساعدات المستمرة من أوروبا (البابوية والغرب اللاتيني)، وكانت هذه الامارات تعتمد بصفة دائمة في تأمين بقاءها وحماية حدودها خاصة في القرن الثالث عشر ميلادي السابع الهجري على تجنيد المرتزقة، وعلى الامدادات العسكرية القادمة من أوروبا وهو ما يفسر لجوؤها إليه كلما شعرت بالخطر أو انهزمت أو سقطت إحداها على يد المسلمين، فكان هذا الاستنجد في حد ذاته دافعا وعاملا في إعداد وإرسال الحملات الصليبية المتتالية من طرف الغرب الأوروبي، قصد استعادة ما فقده الصليبيون من الأراضي بعد الحملة الصليبية الثالثة خاصة.

واستعملت الإمارات الصليبية عديد الوسائل والحيل بهدف إثارة العاطفة الدينية المسيحية لسكان وحكام وقادة الغرب اللاتيني والبابوية بخاصة، منها لوحات كبيرة تحوي رسوم معبرة عن قبر المسيح وكنيسة القيامة اللتان أصبحتا تحت سيادة المسلمين من جديد، وفي الصورة فارس مسلم يدوس عليها بفرسه، وهذه الصورة أخذها القساوسة والرهبان وطاف بها بأسواق ومدن ومجامع الغرب المسيحي ليستنفروا بها الناس<sup>39</sup>.

وفعلا بهذه الوسيلة وغيرها نجحوا في التأثير في العواطف الدينية لمسيحيي غرب أوروبا، ولاقت استجابة عريضة من العامة والفرسان والحكام، إذ جعلتهم يستعدون وينشدون المشاركة في حملة صليبية جديدة من أجل استرجاع بيت المقدس من أيدي المسلمين<sup>40</sup>.

بدأ التحضير للحملة الصليبية الرابعة بدعوة من البابا انوسنت الثالث، وكان البابا أعلن عن رغبته علنا في الدعوة إلى حرب صليبية جديدة، وكان هدفها مصر لأنها أصبحت مركز العالم الإسلامي ومنطلق الدفاع عن الأراضي والمقدسات الإسلامية في الشرق، فكتب البابا سنة 1199م / 596هـ إلى بطريك بيت المقدس<sup>41</sup>، يطلب منه تقرير وافيا عن حال المملكة الصليبية التي أصبحت عكا عاصمة لها<sup>42</sup>، ويستفسر عن أحوال المسلمين وقوتهم في بلاد الشام<sup>43</sup>، وأرسل عدة رسائل وسفراء إلى كل من عموري الراهب بطريك بيت المقدس سنة (1190-1205م/586-601هـ)، وجلبرت دي دورال مقدم الداوية<sup>44</sup> (1194-

1204م/590-601هـ)، وجودفري دونجون مقدم الاستبارية (1192-1204م/588-601هـ)، طالبا منهم إرسال تقارير مفصلة أيضا عن الأوضاع في مناطقهم وممتلكاتهم وكان ذلك في 1199 م /595هـ<sup>45</sup>.

وفي حقيقة الأمر لم تكن حماسة البابا الصليبية لوحدها بل التقارير التي وصلته أيضا تتحدث عن الأوضاع المزرية عن الصليبيين في بلاد الشام، والصراع القائم بين المسلمين بعضهم البعض.

وقام البابا أنوسنت الثالث بمنح جماعة فرسان الداوية والاستبارية عددا من الامتيازات وإعفائهم من عديد الضرائب، كما أرسل لهم سفينة محملة بالأسلحة والحبوب وناشدهم الاستعداد للمشاركة في الحملة الصليبية المزمع القيام بها<sup>46</sup>.

ومن أبرز جهود هذا البابا دعما للإمارات الصليبية، أنه فرض ضريبة على دخول رجال الدين تجمع للصليبيين في بلاد الشام، فقد فرض على نفسه وعلى رجال كنيسته ضريبة قدرها 10% من مدخولهم لهذا الغرض، وأمر رجال الدين في كافة الغرب الأوروبي بدفع 1/40 من مداخيلهم أيضا لتمويل الصندوق الموجه للحملة الصليبية القادمة<sup>47</sup>، ثم أصدر مرسوما يحرم على التجار الأوروبيين التعامل مع المسلمين، وحرّم عليهم تزويد المسلمين بكل المواد التي تعينهم على قتال المسيحيين، وخصوصا مواد الحديد والخشب، وما يستعان به في الحروب<sup>48</sup>.

ولكي تشجع البابوية الناس على الاشتراك في الحملة الصليبية منحتهم كثيرا من التسهيلات والامتيازات، إذ أعلنت عن حمايتها لعائلات الذين يشتركون في الحملة وأملاكهم، كما أعلنت أنه من كان عليه دين فإنه يعفى من أدائه طيلة غيابه عن وطنه، ومن يشترك من الفلاحين الأقنان في الحملة الصليبية يتحرر من التبعية لسيدته وتعود له حريته للأبد<sup>49</sup>، إضافة الى هذا وجهت البابوية الدعوة من رجال الدين إلى مختلف بلاد أوروبا كي يدعوا الناس للاشتراك في الحملة المزمع إرسالها الى الشرق، فاستطاع هؤلاء الدعاة إثارة حماسة الأوروبيين فكانوا في الغالب هم حطب تلك الحملات على بلاد المسلمين<sup>50</sup>.

ووجه البابا أنوسنت الثالث الدعوة للملوك الأوربيين لتسوية الخلافات بينهم، وتوجيه قواتهم العسكرية في حملة صليبية الى المشرق، لكن دعوته لم تجد آذانا صاغية من ملوك إنجلترا وفرنسا ولا ملك إيطاليا وألمانيا، بل لبي دعوته بعض الأمراء الاقطاعيين في هذه الدول<sup>51</sup>.

فالملاحظ هنا الاختلاف بين البابا انوسنت الثالث وتوجيهه الدعوة لملوك أوروبا للقيام بالحملة، أما البابا اربان الثاني أثناء المناداة للحملة الصليبية الأولى على المشرق الإسلامي، حاول ابعاد الأباطرة وملوك الغرب اللاتيني عن التدخل في هذا الأمر وكان نداؤه للأمرء الإقطاعيين وعامة السكان في الغرب الأوروبي، وكانت الاستجابة واسعة وحقت الحملة مالم يُتوقع منها أبداً، وأراد البابا أن يكون الإنجاز خاص بالبابوية فقط ولا ينسبه حاكم علماني لنفسه وكان له ذلك<sup>52</sup>.

أما انوسنت الثالث كان يعلم ضعف وهوان الملوك في الغرب الأوربي، حتى ولو نجحت الحملة سوف يكون للبابوية الكلمة العليا عليهم، نظرا للقوة التي بلغت في ذلك الوقت. وانطلقت الحملة الصليبية الرابعة 1204م/602هـ، وكانت أكثر الحملات نجاحا بعد الحملة الأولى، لكنها نجحت ضد بيزنطة لا ضد العالم الإسلامي، وساندت بعض المصالح الشخصية بدلا من مساندة الامارات الصليبية في بلاد الشام، واستطاعت مدينة إيطالية تحويل الحملة عن مسارها نحو عاصمة المسيحيين الشرقيين وتسقطها في يد اللاتين، وهنا كانت الحملة الصليبية الرابعة مثالا قويا على تدخل المصالح الشخصية في أمور الحركة الصليبية، فبعد الاتفاق على أن تكون وجهة الحملة مصر، باعتبارها معقل القوى الإسلامية وغزوها يجعل استرداد الأراضي المقدسة أمرا سهلا، تم عقد اتفاقية مع البندقية في مارس 1201م/598هـ، تعهد البنادقة فيها بإعداد السفن اللازمة لنقل الحملة، لكن عندما حان وقت الحملة ولم تتوفر الأموال لدفعها للبنادقة قام أميرها بتوجيه الحملة نحو بيزنطة وعاصمتها، وتحويلها الى وجهة أخرى غير مصر حتى لا تفسد علاقة البنادقة التجارية مع مصر لأهمية ذلك بالنسبة لهم<sup>53</sup>.

وإذا كان البابا انوسنت الثالث قد تلقى نبأ فتح القسطنطينية بتحفظ في البداية وظل مرتابا في أمر الهجوم على الدولة البيزنطية، فإن الامبراطور بلدوين كونت الفلاندر أول الأباطرة

اللاتين فيها، استطاع إقناعه بذلك وأنه كان من أجل الأراضي المقدسة، وما هو الا البداية لتحريرها واسترجاعها وسوف يكرس نفسه في خدمة الصليب، ومساندة الإمارات الصليبية في بلاد الشام، هذا ما أغرى البابا وجعله يقبل بذلك وظن أن القسطنطينية ستصبح بعد فتحها مركزا لتنظيم الحملات الصليبية وقاعدة لإرسال وتقديم المساعدات الضرورية للصليبيين في الشرق<sup>54</sup>.

على أن حماسه وتعاطفه مع رجال الحملة تحول إلى غضب واستياء بعد خيبة أمله فيهم، ووضح ذلك في رسالة الى قادة الحملة وحاكم بيزنطة الجديد يقول فيها: "لقد حذتم عن طهارة نذركم عندما زحفتم على المسيحيين بدلا من المسلمين، واستوليتم على القسطنطينية بدلا من بيت المقدس"<sup>55</sup>.

وحينها أدرك عموري الثاني ملك بيت المقدس أنه لا أمل في قدوم أية حملة الى الشام، بعد أن انقضى الصيف ومازال الصليبيين مقيمين في القسطنطينية، بادر الى عقد هدنة مع الملك العادل لمدة ستة سنوات من سبتمبر 1204م/601هـ الى ديسمبر 1210م/607هـ<sup>56</sup>. ومع ذلك فقد رأى البابا أن لهذه الحملة بعض من الفوائد على الإمارات الصليبية في بلاد الشام ومنها خوف الملك العادل الايوبي من أن يسفر استيلاء الحملة الرابعة على القسطنطينية بسهولة الى تقوية الكيان الصليبي في الشام ، ودفع هذا الخوف العادل الى عقد الهدنة السابق ذكرها مع صليبي الشام<sup>57</sup>، أما الفائدة الثانية في الحملة الرابعة في نظر البابا فهو توحيد كنيسة القسطنطينية وروما تحت قيادته<sup>58</sup>، وثالث الفوائد في خشية الملك العادل من أن يشكل قيام إمارة لاتينية في القسطنطينية سندا للإمارات الصليبية في الشام، ولم يكن البابا محقا إلا فيما يخص الفائدة الأولى<sup>59</sup>.

والملاحظ أن الحرب الصليبية الرابعة جاءت نذيراً بفشل الحركة الصليبية بأكملها كما يقول ذلك المؤرخ الفرنسي رينيه غروسيه: "فقد كان من المفروض أن تدعم مركز الصليبيين بالشام وتعينهم على مقاومة الضغط الإسلامي الواقع عليهم، لكن الذي حدث هو أنها أدت الى إضعاف مركزهم بطريق مباشر أو غير مباشر". ذلك لأن قيام مملكة لاتينية صليبية

بالقسطنطينية وبلاد البلقان، عمل على جذب أعداد كبيرة من الفرسان الصليبيين بالشام الذين فكروا في التسلسل سرا وعلانية إليها لينعموا بقسط من الحياة الهادئة بعيدا عن تهديد المسلمين ومتاعبهم، وكذلك الحال بالنسبة للفرسان الغربيين الذين لجأوا هم الآخرى الى القسطنطينية، بدلا من التوجه الى الصليبيين بالشام ومساعدتهم ضد المسلمين<sup>60</sup>.

وغدا واضحا أن انحراف الحملة الرابعة عن هدفها الأصلي وفشل البابا في السيطرة عليها قد أضعاف قدرها كبيرا من هيئته البابوية، وكان على البابا انو ست الثالث أن يقوم بعمل صليبي ضخم، يجني من ورائه نصرا يعوض به فشل الحملة الرابعة ويمحو الآثار التي ترتبت عليها، ويستكمل انتصاراته على ملوك أوروبا وأباطرتها<sup>61</sup>.

وخلال هذه الفترة وجه البابا جهوده على مسألة تحرير الأسرى، ووصف الاسير بأنه مثل الذهب الذي يلقى النار لاختباره، وأنه يسمع أنين هؤلاء الأسرى ويعمل جاهدا على إطلاق سراحهم في أقرب وقت، وأصدر أوامره إلى بطريك بيت المقدس والأمراء الصليبيين في الشرق بأن يجمعوا الاموال اللازمة لافتدائهم، وأن يقدموا هذا على أي أمر آخر ويكون أولوية بالنسبة لهم<sup>62</sup>.

ومع ذلك لم يتوقف البابا انو سنت من الحرص على معرفة أحوال المسلمين ومرافقتهم الى جانب ذلك استعان بالجواسيس الفرنج في مصر، وفرسان الداوية والاسبتارية لإمداده بالمعلومات التي تقدم له صورة واقعية عن حياة المسلمين، وأراد من ذلك كله الإعداد لحملة صليبية يعوض بها الإمارات الصليبية ما فقدته عقب حطين، والحملة الرابعة التي غيرت مسارها وحادث عليه<sup>63</sup>.

أعلن البابا انو سنت الثالث أخيرا قيام ما يعرف بالحملة الصليبية الخامسة، التي حرص فيها على تلافي الأخطاء السابقة في الإعداد للحملة الصليبية، كان البابا حريصا على مساعدة الامارات الصليبية لحاجاتها الماسة لذلك أكثر من ذي قبل، وأخبر الملوك وأباطرة وشعوب أوروبا بما يعانیه المسيحيون في بلاد الشام، خاصة أسراهم، ووجه سهامه ككل البابوات الذين سبقوه تجاه الدين الاسلامي، وحذر الاوربيين بأن نوايا المسلمين هي إسقاط عكا<sup>64</sup>.

ودعي البابا الى مؤتمر بكنيسة اللاتيران بروما 1215م/612هـ، وكان خاصا بالدعوة والتحضير لحملة صليبية خامسة، وحضره رجال الدين من الشرق والغرب وسمح فيه للحكام العلمانيين بالحضور، وحضره وفد ممثل عن صليبي الشام بقيادة يوحنا الثوري مندوبا عن ملك بيت المقدس جان دي بريين<sup>65</sup>.

وفي هذا المؤتمر ألقى البابا انو سنت الثالث خطابا ذكر فيه مدينة بيت المقدس وما تعانيه هي والإمارات الصليبية، وطلب من الحاضرين مساندة الحملة<sup>66</sup> وعد نفسه نائبا عن المسيح عليه السلام في الارض، ثم يقول للحضور: " لا ترددوا في أن تقدموا أنفسكم وأموالكم فداء لإخوانكم الصليبيين في الشرق ". ونهض يوحنا الثوري رئيس الوفد الصليبي يتحدث عن الحالة السيئة التي وصلت إليها الإمارات الصليبية في بلاد الشام، وأنه يجب الإسراع بالحملة الصليبية خاصة وأن الهدنة مع المسلمين سوف تنتهي 1217م/614هـ، وانتهى الأمر بأن قرر الحاضرون أن تكون مصر هي هدف الحملة الصليبية القادمة<sup>67</sup>.

ولم تكن فكرة اتجاه الصليبيين صوب مصر بالفكرة الجديدة على الغرب الاوروي وقت ذاك، فقد مرت بعدة مراحل منذ القرن الثاني عشر إلى أن وصلت الى طور النضج والكمال في حملة لويس التاسع، حيث ساد الاعتقاد بين أهل الغرب أنه لا يمكن امتلاك بيت المقدس والمحافظة على كيان اللاتين بالشرق إلا بالاستيلاء على مصر، زعيمة العالم الاسلامي ومركز إمداده ومعقله المنيع في ذلك الحين<sup>68</sup>، ويقول ابن واصل في ذلك: "وكان (أي لويس) متدينا بدين نصرانيا مرتبنا به، وحدثته نفسه أن يستعيد بيت المقدس إلى الفرنج اذ هو البيت المعبود... وعلم أن ذلك لا يتم الا بملك الديار المصرية".

وأعلن البابا أن الحملة سوف تنطلق سنة 1217م/614هـ، والاستعداد لها مدة ثلاث سنوات، وطلب من الجميع التخلي عن خلافاتهم، ومنح الامتيازات الروحية لمن يشارك فيها، ووعدهم بالإعفاء من الضرائب للبقية وذلك بمجرد حملهم للصليب<sup>69</sup>، وخلال هذه الفترة توفي انو سنت الثالث بمدينة بروجيا الايطالية 1216م/613هـ عن ستة وخمسون عام، بعد أن تولى كرسي البابوية ثمانية عشرة عاما.

حقيقة يعتبر البابا انو سنت الثالث أكبر داعمي الإمارات الصليبية والمسيحيين في بلاد الشام، بحيث قضى فترة بابويته مساندا لهم، ورأى أن أي حملة أو دعم أوروبي يقدم للصليبيين يجب ان يخضع لهيمنة البابوية بالرغم من فقدانه زمام الامور في الحملة الرابعة، إلا انه نجح في السيطرة على الغرب الاوروي وساعد الكيان الصليبي في الشرق بعدة وسائل دبلوماسية وعسكرية وبمراسلة القادة ورجال الدين الصليبيين، ونجح في الدعوة لحملة صليبية خامسة والتحضير لها، وتوفي قبل انطلاقها، وهكذا كانت فترة حكمه توضح مدى حرص البابوية على الاستيلاء الروحي والزمني على العالم الغربي والشرقي، وفترة نشاط بابوي لم تشهد الحركة الصليبية له مثيل منذ عقد اربان الثاني<sup>70</sup>.

تولى بعده الكاردينال سنسيوس *censieus* تحت اسم البابا هونوريوس الثالث، وسار على نفس المبادئ التي اتخذها مجلس اللاتيران فيما يتعلق بالحملة<sup>71</sup>، وكان هذي الطبع ولم يرغب الدخول في الصراع مع الحكام الزميين، ولذلك فضل توزيع جهده وجهد العالم الاوروي نحو الحرب الصليبية ودعم الإمارات الصليبية في بلاد الشام، خاصة بعد أن هيا له سلفه الجو المناسب لقيامها، ووضع كافة الخطوط الرئيسية الخاصة بها.

قام البابا هونوريوس الثالث بإرسال رسالة إلى الملك جان دي برين يشجعه ويؤكد له عزمه على ارسال الحملة ودعم الصليبيين في الشرق، وسيكمل العمل بنفس الحماسة والإخلاص<sup>72</sup>، وكان لابد أن تحظى الدعاية للحملة الخامسة والتبشير لها بعناية خاصة في الامارات الصليبية بالشام باعتبارها محصلة الحركة الصليبية ومنطقة المواجهة مع المسلمين، وفضلا على أنه يوجد بالشام الاماكن المقدسة التي قامت من أجلها الدعوة للحركة الصليبية منذ أكثر من مئة عام قبل ذلك التاريخ، وحاول البابا هونوريوس تجديد روح الحماسة الصليبية، هذا علاوة على حل الخلافات السياسية بين الامارات الصليبية نفسها، والملاحظ ان موت البابا إنو سنت الثالث لم يؤثر تأثيرا كبير على قيام الحملة، فقد عمل البابا الجديد بكل جهدة لقيام الحملة في موعدها للسيطرة على بيت المقدس<sup>73</sup>.

ففي أبريل عام 1213 م / محرم 615 هـ، وصل النصف الأول من أسطول الصليبيين إلى عكا، ثم التحق بها البقية بعد حوالي شهرين، وكان عددهم حوالي ثلاثين ألف، منهم القادمين من أوروبا فضلا عن القوات الصليبية بالإمارات اللاتينية وعلى رأسها فرسان الداوية والاستبارية والتيتوتون، وهي جماعة عسكرية متمرسة وانضمت إليهم بعض القوات القبرصية<sup>74</sup>.

اتجهت الحملة الى مصر عن طريق مدينة دمياط، فقد رأى الصليبيون أنهم لو استطاعوا الاستيلاء عليها لمكنهم غزو الدلتا كلها والتقدم الي القاهرة وتخريبها باعتبارها قلعة الاسلام القوية في الشرق كله، وليس ذلك فحسب فقد رأى الكردينال جاك دي فترتي أن ذلك سيمكن الغرب الاوروي من نشر الديانة المسيحية الكاثوليكية في الشرق الإسلامي عامة، وهذا يدل على مدى بعد أفكار رجال الدين الاوربيين في هذه الفترة<sup>75</sup>.

في هذه الاثناء كان الملك الايوبي العادل، يعلم بأمر رحيل الحملة ولكنه لم يعتقد أن تكون وجهتها مصر، ولذلك لم يتخذ أي إجراء لمواجهة القوات الصليبية ومنعهم من تحقيق هدفهم، لذلك تمكن الصليبيون من النزول في البر دون عائق يذكر<sup>76</sup>.

ودامت الحملة الصليبية الخامسة لمدة اربع سنوات، من 1217م/614 هـ الى 1221م/618 هـ<sup>77</sup>، وانتهت بهزيمة الصليبيين، وخروجهم من مصر، ومعه تبددت جميع الآمال في استعادة الارض المقدسة وما استولى عليه المسلمون أثناء حطين، وقد كلفت الحملة الغرب اللاتيني غالبا، وأنزل هذا الاخفاق ضربة جديدة لمشروع وأهداف البابوية نحو الشرق والامارات الصليبية<sup>78</sup>، وأكدت الصراع الكبير بين السلطة الروحية و السلطة الزمنية في الغرب الأوروي، وأيضا الصراع الكبير بين الصليبين سواء في الشرق أو الغرب وبدأت آمال صليبي الشام تضعف وموقفهم يتراجع أمام المسلمين الذين اتحدت جبهتهم في هذه الحملة؛ الجبهة المصرية والشامية تحت قيادة الملك الكامل الأيوبي<sup>79</sup>، الذي تمكن مع أخوه المعظم<sup>80</sup> من صد وطرد الصليبيين من مصر.

ومع ذلك ورغم الفشل الذي منيت به الحملة الصليبية الخامسة، فإن ذلك لم يجهض الحلف الدفاعي الإستراتيجي تحت قيادة البابوية، من أجل إنقاذ الكيان الصليبي، وعندما أدرك

البابا هونوريوس الثالث خطورة الأوضاع في الإمارات الصليبية، بعث إلى أمرائها يدعومهم إلى نبذ الخلاف والوحدة في مواجهة الأخطار خاصة بعد الأنباء عن صراع في إمارة أنطاكية بين الداوية والإسبتارية، ويقول البابا هنا: "سيكون خسارة للعالم المسيحي تفوق ضياع دمياط"<sup>81</sup>.

وتطلعت الإمارات الصليبية إلى العون والمساعدات من الغرب الأوروبي والبابوية، وبدأت في إرسال التقارير ورسائل الاستنجاد، مما جعل الأنظار تنزو من جديد نحو البابوية وحكام الغرب الأوروبي لإرسال حملة صليبية جديدة تمكنهم من الصمود -ولو إلى حين- في وجه الصراعات الداخلية والتهديد الخارجي الذي تعرضوا إليه في تلك الفترة<sup>82</sup>.

ومن هذا المنطلق حاول البابا هونوريوس الثالث تقديم ما يمكنه من عون للفرنج في بلاد الشام، والحرص على تقديم امتيازات خاصة للفرسان التوتون والداوية والإسبتارية، نظير جهودهم في الدفاع عن صليبي الشام.

والتقى البابا بالإمبراطور الألماني فريديريك الثاني في فريولي VEROLI بإيطاليا، في 18 أبريل 1222م/4 ربيع الأول 619هـ<sup>83</sup>، واتفقا في هذا الاجتماع على تنظيم مؤتمر بحضور ممثلين عن الإمارات الصليبية في بلاد الشام لمناقشة الخطط والتجهيزات الخاصة بالحملة التي يجب القيام بها، ووجه البابا خطابا إلى الملك الفرنسي فيليب أوغسطس وآخر للملك الإنجليزي هنري الثالث يدعوهما للمشاركة في الحملة المرتقبة<sup>84</sup>.

وشجع البابا هونوريوس الثالث أيضا فكرة زواج الإمبراطور فريديريك الثاني من يولندا وريثة تاج مملكة بيت المقدس، حيث رأى أنه فرصة لإلزامه بالخروج في حملة ويصبح دعما كبيرا جدا للصليبيين في الشرق نظرا للإمكانات التي تتوافر لدى الإمبراطور فريديريك في ذلك الوقت<sup>85</sup>.

ومن ناحية الاستعداد للحملة الصليبية السادسة استأنفت روما الدعوة للحرب المقدسة، إذ انطلق التبشير بالحملة باسم رأس الكنيسة في كل ممالك أوروبا، واهتم البابا هونوريوس الثالث بحملة الإمبراطور فريديريك الثاني، فحث المسيحيين في مختلف أنحاء أوروبا على المشاركة فيها، وكتب إلى أمراء أوروبا ينصحهم بإيقاف نزاعاتهم والاهتمام بالحرب المقدسة

فيما وراء البحر<sup>86</sup>، ونجح الأساقفة في المانيا في التأثير على سكانها للانضمام الى الحملة الصليبية عن طريق توزيع الذهب و صكوك الغفران التي أصدرها البابا<sup>87</sup>.

أما المساهمة الفرنسية في الحملة فجاءت من خلال اعلان لويس الثامن<sup>88</sup> عن مشاركته في الحملة ودعا النبلاء والامراء للمساهمة فيها، لكن الظروف السياسية في مملكته لم تسمح له بالمشاركة فعليا، ولم يتأخر أهالي إيطاليا عن تجهيز عساكر عديدة لهذه الحرب لأجل تخليص الضريح المقدس استجابة لنداء البابوات، إذ كانوا يتطلعون لغفران ذنوبهم في مشاركتهم في ذلك<sup>89</sup>.

وقد اتخذ العديد من أمراء النمسا صلبان الحرب المقدسة، وجمعوا معسكرا قويا جدا مؤلفا من نحو ستين ألف مقاتل تحت اعلام الصليب، واستعدوا للمشاركة في هذه الحملة الصليبية استجابة للدعوات التي أطلقها الحبر الأعظم من روما<sup>90</sup>.

كما تدفقت جموع كبيرة من بقية سكان أوروبا من قشتالة و ارغون، رغبة في الحرب تحت اغراءات الكنيسة من صكوك غفران وغيره، وفي خضم استعدادات الامبراطور فريديريك الثاني للقيام بحملته الصليبية الى الشرق، توفي البابا هونوريوس الثالث في مارس 1227م/624هـ، وخلفه البابا جريجوري التاسع (1227-1241م/624-638هـ)، وكان على النقيض تماما من سلفه في شخصيته وطريقة تعامله، وأصبح تفوقه على الامبراطورية هدفه الأول، أما مسألة الحرب الصليبية في المقام الثاني من اهتماماته، وصادر الحرمان الكنسي على الامبراطور، واشتعل الصراع بشكل واضح ليلقي بضلاله على مستقبل الإمارات الصليبية ومصيرها في بلاد الشام<sup>91</sup>، ودليل ذلك عندما قام فريديريك الثاني بما يعرف بالحملة الصليبية السادسة أرسل البابا جريجوري التاسع الى صليبيي الشام رسائل يحثهم فيها أن لا يساعدوا هذا الامبراطور، وتضمنت الرسائل أيضا قرار الحرمان، وأمر من البابا موجه للجماعات الرهبانية العسكرية بعدم تقديم المساعدة للإمبراطور فريديريك الذي اتهمه البابا بأنه يسعى لعقد تحالف مع المسلمين، وذكر ابن واصل ذلك بقوله: "أن البابا كان يكن كراهية ومقتا شديدا لفريديريك وبنيه، وإن كان قد علل ذلك بميله للمسلمين"<sup>92</sup>.

وقد كتب البابا الى الملك الكامل بأن لا يمنح بيت المقدس الى الامبراطور وأن يحاربه، والملاحظ أن خوف البابا من نجاح الامبراطور في حملته تلك معناه أن البابوية خسرت صراعها وقوتها ومكائنتها، وهكذا نجد أن البابوية التي ملأت الدنيا صياحا وعويلا على ضياع بيت المقدس من أيدي الصليبيين عام 1187م/583هـ، تعمل على ألا ينجح الامبراطور في استرداد تلك المدينة، حتى لا يكسبه ذلك نصرا في صراعه ضدها<sup>93</sup>.

وخلال هذه الفترة عرفت الامارات الصليبية مرحلة خطيرة من الصراعات الداخلية هددت وجودها وكيانها، بين أنصار الإمبراطور وبارونات الشرق الموالين للبابوية، وحاول كل طرف القضاء على الآخر وفي نفس الوقت اشتد الصراع بين الهيئات العسكرية الدينية<sup>94</sup>، كما وقع حول استغلال روافد أحد الأتھار في عكا وأخذ أفراد الجماعتين الداوية والإسبتارية يتقاتلون في شوارع المدينة بصورة هدت الوضع الصليبي هناك، وأرسلوا للبابا يطلبون منه التدخل، فتدخل جريجوري التاسع وشدد على أفراد الجماعتين بحسم الخلاف عن طريق التفاوض، وإلا أوقع عليهم عقوبة الحرمان، ونجح في يوم الأربعاء 25 جويلية 1235م/8 ذي القعدة 632هـ، في عقد اتفاق بينهما على كيفية استخدام المياه في هذا الرفض<sup>95</sup>.

ولم يقتصر دور البابوية خلال هذه الفترة وجهودها نحو دعم صليبي الشام، على إرسال الحملات العسكرية فقط، بل تعدى إلى مراقبة الاتفاقيات والمعاهدات بين صليبي الشام بعضهم البعض أو مع بقية الأطراف الموجودة في المنطقة من مسلمين وغيرهم، وهنا نلاحظ الدور والاثر الكبير الذي كانت توليه البابوية للإمارات الصليبية، ومن ذلك رفض البابا لاتفاق حدث بين فرسان الإسبتارية وطائفة الحشيشية، والذي جعل البابا يحس بأنه موجه نحو صليبي الشام وليس لمساعدتهم<sup>96</sup>.

وفي خضم تلك الأحداث لم ينسى البابا واجبه الأساسي اتجاه الامارات الصليبية، والدعوة في أوروبا لمساندتها واستقبال التقارير عن أحوال الصليبيين في الشام، وفي عام 1234م/631هـ أصدر مرسوما بابويا بالهدف منه مساعدة الإمارات الصليبية في الشام، والاستعداد لإرسال حملة صليبية جديدة تتجه نحوهم 1239م/636هـ<sup>97</sup>، وهو تاريخ انتهاء

الهدنة بين الامبراطور فريدريك الثاني والملك الكامل الايوبي، لأن البابا أراد تحسين العلاقة وتهدئة الأوضاع مع الامبراطور، ووجه البابا خطابا للملك الإنجليزي هنري الثالث، وأرسل رسالة للملك الفرنسي لويس التاسع (1226-1270م / 633-669هـ) دعاه فيها الى تحضير مساعدات لهذا الأمر والتنسيق مع فريدريك الثاني، وعهد البابا الى عدد كبير من الوعاظ بتشجيع النبلاء والإقطاعيين والشعوب في الغرب الأوروبي للاستعداد للحملة المنتظرة<sup>98</sup>، ولكنها لم تنجح في الوصول إلى مبتغاها بسبب أن حقيقة البابا جرجوري التاسع هي القضاء نهائيا على الإمبراطورية أولا وأخيرا، وشغله ذلك عن دعم الصليبيين عكس ما يبدو في الظاهر، ويقول متى الباريسي وهو مؤرخ معاصر لتلك الفترة وهذا الصراع: "إن الامبراطور حاول أن يقيم السلام مع البابا وقدم بعض التنازلات له، لكن البابا كان يرغب قبل كل شيء في تحطيم الامبراطور والقضاء عليه". وهذا جزء من رسالة فريدريك الثاني الى الملك الإنجليزي: "ورغبة منا بعدم قيام أية أسباب للخلاف بيننا وبين الكنيسة، أرسلنا سفراء خاصين من قبلنا إلى المقام الرسولي، وعرضنا من خلالهم تقديم ترضيات أيضا ... حتى أظهر نفسه أنه كان مندفعاً نحو الأمام في سبيل تدميرنا دمارا كلياً وتجريدنا من ميراثنا الامبراطوري..."<sup>99</sup>.

ورغم حرص البابا للدعوة لحملة صليبية وذلك لجعلها أداة طيعة لتحقيق كل ما كان يصبو إليه من نفوذ في مواجهة سلطة الامبراطور.

وفي فترة البابا انوسنت الرابع (1242-1254م/640-652هـ)، حاول إقامة الصلح والمهادنة مع الملك الصالح الايوبي ورغب في مساعدة الإمارات الصليبية لتجنب الخطر الإسلامي القادم من مصر عليها، في وقت انقسم صليبي الشام على أنفسهم، مما أضاع بيت المقدس من جديد 1244م/624هـ<sup>100</sup>، وتسبب في اندحار جيشهم في معركة غزة، إلا أن البابا لم ييأس وعاود الاتصال بالملك الايوبي، إن لم يكن لصالح الصليبيين فقياما بواجبه كزعيم مسيحي العالم نحو الأماكن المقدسة، التي لم يعد في مقدور الصليبيين الدفاع عنها، يشكوه الإعتداءات التي تقع على أماكن العبادة المسيحية في الشرق<sup>101</sup>، وفي الوقت نفسه حاول البابا كسب ود القوى الأيوبية، ومع ذلك داوم على إرسال المساعدات المالية الى الإمبراطورية

من أجل تحصين قلاعها والضمود في قلعة عسقلان، ومنح فرسان التيونون وثيقة تبرع من أجل بناء برج في إحدى قلاعها المهمة، لكن بالرغم مما سبق يوجد في خطابه إلى البارونات الصليبيين في الشام في 17 جوان 1247م/ 11 ربيع الأول 645هـ، ما يؤكد على تقديم البابوية لصراعها مع الإمبراطور على مصالح الإمارات الصليبية، حيث دعاهم إلى عدم مساعدة أو مساندة أي شخص ينتمي إلى الإمبراطور<sup>102</sup>.

فالملاحظ أن صراع البابوية والامبراطورية له التأثير الكبير على دعم وجود وبقاء الامارات الصليبية في بلاد الشام، ولم تمر فترة وجيزة في تاريخ صليبي الشرق دون الدخول في هذا الصراع المرير بين الأوروبيين حول السيادة والزعامة روحيا وزمينا.

ويمكن القول آخر محاولة كبرى وحقيقية من طرف البابوية لمساعدة صليبي الشام، كانت الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع، الذي أخذ يستعد لحملة المرتقبة بكل قوة واهتمام ولجأ الى توفير المال اللازم للحملة، عن طريق الاستعانة بالبابا الذي فرض الضرائب على رجال الدين والتجار والنبلاء والإقطاعين، ثم انطلقت الحملة الصليبية السابعة<sup>103</sup>.

كانت وجهة الملك الفرنسي نحو مصر وكان ادعاء الأوروبيين أن سببها هو سقوط بيت المقدس 1244م/642هـ في يد المسلمين، وهي نفس أعدار الحملة الثانية بعد سقوط الرها 1144م/539هـ، وأيضا أعدار الحملة الصليبية الثالثة عقب هزيمة حطين واسترجاع المسلمين لبيت المقدس عهد صلاح الدين 1187م/583هـ<sup>104</sup>.

لم تحقق الحملة هدفها وفشلت وكان عدم النجاح حليفها، وكان ذلك في 1249م/647هـ، وأسر الملك لويس التاسع نفسه، وقبل الصلح مع المسلمين وغادر الأراضي المصرية وتوجه نحو عكا في سنة 1250م/648هـ<sup>105</sup>.

أبدى البابا تأثره بما نزل بالصليبيين من كوارث، وتعجب كيف يعامل أكثر الملوك ورعا وتدينا يمثل هذه المعاملة ويلقى مثل هذا المصير، لكنه مع ذلك لم يحرك ساكنا ولم يتخذ أي خطوة إيجابية لمساعدته، وكان الواجب على البابا وهو الزعيم الديني الأعلى بأوروبا أن يبادر في تقديم كل مساعدة ممكنة للملك في حملته، كما كان يفعل أسلافه في بدء الحركة الصليبية،

ونحن لا ننسى خطبة البابا اربان الثاني في مؤتمر كلير مون بفرنسا في نوفمبر 1095م/488هـ، التي ألهمت حماس المسيحيين في الغرب جميعا بصوت واحد صيحتهم المشهورة "هذه هي إرادة الله"، التي كانت إيذانا ببدء الحروب الصليبية، ولكن هذا العهد انقضى وولى، فقد كان انو سنت الرابع في شغل شاغل عن نجدة لويس التاسع بالعمل على استئصال شأفة آل هوهنشتاوفن الالمان<sup>106</sup>.

لم يكن للبابوية دور مهم مثل السابق في هذه الحملة مثلما كانت تقوم به في باقي الحملات، فقد كان قائد الحملة والمسؤول عنها ملكا علمانيا دون وجود مندوب بابوي، بحيث نظر لها على أنها حملة فرنسية نظرا لأن القائد وأعداد المشاركين فيها من فرنسا كبير جدا<sup>107</sup>.

وخلال هذه الفترة حدثت تغيرات كبيرة في أوروبا، خاصة منتصف القرن الثالث عشر ميلادي، فقد أخذت النهضة الأوروبية تأتي أكملها، وأدت بالمجتمع الغربي إلى التفكير في مشاريع وأهداف جديدة والتخلص من القيود الدينية، وبدا الغرب في هذه الحملة والمرحلة بروح غير الروح، وحماسة غير الحماسة التي لبي بها الدعوة لتلك الحرب خلال فترة القرن الثاني عشر ميلادي<sup>108</sup>.

هذا في الغرب أما في الشرق فقد ظهرت قوى جديدة في المنطقة الإسلامية، والتي تريد الهيمنة والنفوذ، وبدأ ظهور ملامح اصطدام كبير وقوي بين عديد القوى في المشرق الإسلامي، اولهم قيام دولة المماليك في مصر، وأصر سلاطينها على استئصال الكيان الصليبي من بلاد الشام، وظهور الخطر المغولي الذي بات يهدد الجميع، وفي غمار تلك الاحداث كان على السياسة الأوروبية ممثلة في البابوية والملوك والحكام أن تبرهن على قدراتها على انقاذ الإمارات الصليبية في بلاد الشام قبل الانهيار<sup>109</sup>.

وهنا تطلب الامر من السلطة الدينية بمحاولة لجذب العنصر المغولي، واستمالاته ضد المسلمين في مصر وبلاد الشام من جهة، وحماية الإمارات الصليبية من جهة أخرى، وإبعادهم عن أوروبا من جهة أخرى، وهو ما يعني أنها كانت الفرصة الأخيرة للبابوية والغرب الأوروبي، لكي يظهر أنه على استعداد دائم لمساندة صليبي الشام في أوقات المحن<sup>110</sup>.

وظهر ذلك جليا في عهد البابا انو سنت الرابع الذي بعث بثلاث سفارات إلى المغول في الفترة من 1245-1248م/643-646هـ باءت جميعها بالفشل، ورفض المغول التحالف مع الصليبيين أو اعتناق المسيحية، بل بالعكس طالبو بأن يحضر البابا شخصا إليهم ويمثل أمام قائدهم معلنا خضوعه وإلا عده المغول عدوا، وهكذا فشلت محاولات البابوية في اجتذاب المغول في صف المسيحية ضد المسلمين<sup>111</sup>.

وعندما هزم المماليك في موقعة عين جالوت 1260م/658هـ المغول وانزلوا بهم هزيمة ساحقة، ابتهج البابا ألكسندر الرابع<sup>112</sup> بذلك وعده انجاز للصليبيين، غير أنه لم يكن يعلم أن المماليك سوف يعملون على إزالة الكيان الصليبي بأكمله من بلاد الشام<sup>113</sup>. في هذه الفترة كان على صليبي الشام أن يعتمدوا على أنفسهم في تقرير مصيرهم وينقذوا ما تبقى من ممتلكاتهم في الشرق.

كان الغرب الأوروبي والبابوية تحت الصراع الكبير والخطير الذي دام لأكثر من قرنين بين الإمبراطورية والبابوية ووصل إلى فترة نهايته، بحيث أنهك القوى الأوروبية وجعلها تعاني التفكك والانقسام المتواصل والحروب المستمرة مما جعلهم تحت رحمة القوى الإسلامية الصاعدة، وتحت وطأة الاجتياح المغولي للعالم، فلذلك لم يكن من بد أن تعتمد الامارات الصليبية على نفسها في مواجهة خطر زوالها.

استطاع المماليك عن طريق قائدهم الظاهر بيبرس الاستيلاء على امارة انطاكية في 18 ماي 1268م/ 05 رمضان 666هـ، وبذلك أنهى الوجود الصليبي في شمال الشام، وأيضا استرجع أهم الامارات الصليبية،<sup>114</sup> وتم إرسال عديد الرسائل والتقارير للبابوية لنجدتها لكنها لم تجد آذانا صاغية حتى ولو بمساعدات مادية، واكتفى البابا كليمن الرابع (1256-1268م / 663 - 667 هـ، بالرد برسائل مواساة وجهها لبطريك بيت المقدس، ورؤساء الأساقفة والأساقفة، وعم الحزن الغرب الاوروي، إذ كانت تمزقه الخلافات والصراعات الداخلية<sup>115</sup>.

وكانت هذه الفترة الاخيرة التي كان أمل صليبي الشرق معلق بما لمساعدتهم للصوص والبقاء في بلاد الشام، خاصة مع القوة والوحدة الكبيرة التي شهدتها العالم الإسلامي خلال

هذه الفترة تحت حكم المماليك، وتمكنهم من دحر المغول إلى الشرق، وتمكنوا من حرية الحركة قرب ما تبقى للصليبيين من مدن ومستوطنات، دون أن يجسوا وصول أي مساعدات لإفرنج الشام، فتوجه المماليك نحو إمارة طرابلس.

تعلقت آمال الصليبيين بالبابوية، وشغل كرسي البابوية خلال هذه المرحلة جرجوري العاشر (1271 - 1276 م / 669 - 674 هـ)، فجعل شغلة الشاغل توحيد جهود الممالك المسيحية في العالم، من أجل مساعدة الإمارات الصليبية في بلاد الشام، وشهدت بابويته آخر المحاولات لإعداد حملة صليبية تنقذ الكيان الصليبي قبل انهياره<sup>116</sup>، ووصف المؤرخ ثورب عهده بأنه آخر محاولة لإحياء الحروب الصليبية<sup>117</sup>.

ولكن يبدو أن دعوة البابا ذهبت أدرج الرياح، بسبب الوضع السياسي في الغرب إذ حالت الاوضاع دون استعداد ملوك أوروبا للقيام بحملة صليبية جديدة، وتجاهل ملوك العالم المسيحي الدعوات الملحة المرسله إليهم، ذلك أن المناخ غير مناسب للقيام بحملة صليبية لنجدة ما تبقى من الكيان الصليبي في الشرق.

وزاد من يأس صليبي الشام في مجيء المدد المنتظر من الغرب الأوروبي، وفاة البابا جريجوري العاشر في أوائل 1276م/ 674 هـ، على الرغم من الجهود المضنية التي بذلها لتهيئة المناخ في أوروبا للقيام بالحملة الصليبية المرتقبة، فالعود التي تلقاها من الامراء والملوك كانت مجرد شعارات لم تجد طريقها للتنفيذ، لانشغال كل منهم بمشكلاته الداخلية<sup>118</sup>، ولا أحد يرغب في الرحيل، وتعاقب على الكرسي البابوي، بابوات ضعاف غير قادرين على مساعدة الأراضي المقدسة<sup>119</sup> التي ازدادت أوضاعها سوءا، وكانت الضحية في هذه المرة إمارة طرابلس، آخر إماراتهم في بلاد الشام إذ استطاع السلطان المملوكي سيف الدين قلاوون انتزاعها من أيديهم في عام 1289م/ 688 هـ، وبات واضحا أن البابا نيقولا الرابع أعجز من أن يحرك ملوك الغرب الأوروبي وأمراء لحشد الجيوش لمساعدة صليبي الشام<sup>120</sup>.

وفي أثناء ذلك نجح السلطان الأشرف خليل في الاستيلاء على عكا وبيروت وصيدا وصور وجبيل وعلثيت وطرسوس، وسقطت معظمها دون قتال بعد فرار سكانها لقبرص، كان

ذلك اواخر عام 1291 م / 690 هـ<sup>121</sup>، دون أدنى تدخل من أية قوة أوروبية سواء علمانية أو روحية، منهايا بذلك الوجود الصليبي في بلاد الشام، ولم يتركوا وراءهم سواء خراب قلاعهم، لتكون حتى اليوم شاهدة على ما اشعلوه من حروب صليبية، وعلى مملكة شيدوها ثم أضاعوها<sup>122</sup>.

وقد تكون الروح الصليبية ضعفت في أوروبا بسبب التطورات السياسية هناك، غير أنها لم تمت بل استمرت، ولذلك وجدنا أن هناك حملات صليبية في العصور الوسطى المتأخرة، على نحو عكس لنا أن روح الصليبية الأوروبية قد وهنت أحيانا، الا أنها كانت تعود إلى القوة مرة أخرى لتشن هجماتها على أملاك المسلمين<sup>123</sup>.

### 5. المجهودات البابوية بين النجاح والفشل

لم تدخر البابوية جهدا في تنظيم وإعداد وشن حملات صليبية على بلاد الشام، وأشرفت عليها باسم الدين والكنيسة المسيحية، سعيا منها لخدمة مآربها وتحقيق أهدافها المختلفة سواء المعلنة أو غير المعلنة من طرف رجالها ودعاتها.

وكما رأينا طوال قرن من الزمن 1192-1292م/588-690هـ، من استرجاع المسلمين لبيت المقدس الى عكا، والبابوية تحاول دعم ما تبقى من إمارات ومناطق صليبية في البلاد الإسلامية، وكللت جهودها بالنجاح بعدة مرات وفشلت في الكثير من المحاولات أيضا، ويمكن القول إن الفشل السمة البارزة أكثر من النجاح وذلك من خلال عديد النقاط التي سوف نوضحها.

ساهمت البابوية كطرف بارز وفعال بأداء دور كبير في تأجيج الحروب الصليبية، والحث عليها خاصة بعد استرجاع المسلمين لبيت المقدس 1187م/583هـ، وفشل الحملة الصليبية الثالثة، وحرصت على تحريض الملوك والأمراء والقادة والفرسان والشعوب بالغرب اللاتيني على إعداد وإرسال حملات عسكرية دعما للإمارات الصليبية في بلاد الشام، خوفا من سقوطها في يد المسلمين، وأيضا بدعوى تحرير الأراضي المقدسة من قبضتهم.

حقيقة استطاعت البابوية بواسطة هذا المشروع تجنيد كل فئات المجتمع في الغرب اللاتيني، وتسخير كل الإمكانيات المادية والبشرية لتلبية لدعوتها، ودعمها للإمارات الصليبية في الشرق، وذلك من خلال الدفع بكل إمكانياتها في ذلك، واستغلت في ذلك مخاطبة العاطفة الدينية وإثارة الحماسة الحربية وتحريك نزعة الفرسانية، والوعد بالخلاص الأبدي والغفران الكنسي، والإغراء بالمطامع الدنيوية ومغريات مادية، وبهذا يتحقق لها أكبر قدر من الاستجابة، ويمكنها من تحقيق أهدافها سواء باستمرار التواجد الصليبي في الشرق ودعمه وتوسيعه، والوصول لأهدافها السياسية وسيطرتها على السلطتين الروحية والزمنية للعالم، ومن مظاهر النجاح الذي حققته البابوية خلال هذه المرحلة من الصراع الإسلامي الصليبي، هو حث ملوك و أباطرة أوروبا وتشجيعهم على الوحدة و تسوية الخلافات القائمة بينهم، وإقامة الصلح و الوفاق بينهم، وحشد قواهم وتسخير إمكانياتهم العسكرية و المادية، من أجل الخروج في حملات صليبية موجهة نحو الشرق لمحاربة المسلمين، وانتزاع بيت المقدس منهم، ودعم التواجد الصليبي في المنطقة.

حقيقة أن الحروب الصليبية منذ بدايتها إلى نهايتها ماهي إلا فكرة من أفكار البابوية، فقد ولدت وترتبت فيها، وهي التي دعت إليها وأعلنت عنها و تكفلت برعايتها، وبدلت جهود كبيرة جدا في تحقيقها على أرض الواقع، وكان لها ذلك، إذ استمر التواجد الصليبي في بلاد المشرق حوالي قرنين، وأسسوا إمارات صليبية، وكانت دائما السبابة في دعم هذه الإمارات أو الدويلات، ولم تغفل عنهم، و حاولت توسيع مجالهم بكل ما أوتيت من إمكانيات وقوة عن طريق إرسال الحملات، كلما شعرت بالخطر القادم لهم من طرف المسلمين أو بكل تهديد لوجودهم، ولم تتوقف عند النداء لخروج حملات لدعم الإمارات الصليبية في بلاد الشرق، بل سوف تجني البابوية من مشاركتها في الحرب الصليبية أموالا كبيرة عن طريق انتشار الدعاة ورجال الدين في أنحاء أوروبا لجمع الضرائب والتبرعات من كل انسان بحجة تمويل الحملات الصليبية، ولعل الشيء المؤكد هنا أنه لولا الدعم و الجهود التي بذلتها البابوية لما استطاعت الإمارات الصليبية الصمود في بلاد الشام لمدة قرنين من الزمن، إذ كانت تعاني من ضعف

وهوان و خطر دائم وخلافات داخلية لم تتوقف، لكن البابوية لم تتخلى عنها وكانت دائما السبابة في دعمها و تشجيع عوامل صمودها وبقائها، ومن ذلك التشجيع على عقد معاهدات السلام مع المسلمين، وإرسال الدعم المادي للفرسان والهيئات الدينية وإرسال الرجال لبناء القلاع والحصون، والاهتمام الدائم بأخبار الإمارات الصليبية، و المسلمين ايضا عن طريق التقارير و الجواسيس التي وضعتهم في المنطقة، حتى لا تغيب عليها أوضاع بلاد الشام في تلك المرحلة المهمة، فالبابوية حاولت دائما أن تكون في صدارة داعمي ومساندي التواجد الصليبي في بلاد الشام، لكن ومع كل ذلك يمكن القول أن مجهودات البابوية في دعم الإمارات الصليبية في بلاد الشام غلب عليها الفشل في تحقيق الأهداف الحقيقية للتواجد الصليبي في المنطقة، وهو البقاء والاستمرار والسيطرة على الأماكن المقدسة، ودعم التواجد الصليبي في المنطقة، وذلك رغم عديد الحملات الصليبية التي أرسلتها لبلاد المشرق وكانت نتيجتها زوال التواجد الصليبي وليس ترسخه وتوسيعه، ويوجد العديد من المؤرخين الذين حللوا وناقشوا فشل البابوية لأن أهدافها كانت مشتتة بين الإمارات الصليبية في بلاد الشام والرغبة في السيطرة على السلطة الزمنية والروحية في الغرب اللاتيني، ولذلك ساهم هذا الصراع ودخولها معترك الصراعات السياسية في إضعاف موقفها تجاه صليبي المشرق، ولم تتمكن من دعمهم في الصمود وخاصة بعد حطين واسترجاع المسلمين لبيت المقدس 1187م/583هـ.

وأبرز هذا الموقف للمؤرخ أرنست باركر الذي يقول: "والواقع أن البابوية أسهمت في انهيار الحروب الصليبية، حينما جعلت مصالحها الخاصة تغطي على الصالح العام للمسيحية، واتخذت من اسم الحرب الصليبية ومزاياها ما يعزز حربها السياسية ضد العلمانيين"<sup>124</sup>.

وعن تورط البابوات في الصراعات السياسية وابتعاد البابوية عن دورها الروحي والديني، ساهم في زعزعة مكانتها وضعفها، وفي العديد من المرات كان صراعها ضد الإمبراطورية كما رأينا سابقا أهم عندها من دعم الإمارات الصليبية، ومواجهة المسلمين بل سيرت حملات صليبية ضد أباطرة من الغرب الأوروبي ولم تكن ضد المسلمين، وحول ذلك يقول المؤرخ ساورن هيلستر: "نصر البابوية كان أجوفاً على الإمبراطورية بصفة أساسية في العصور الوسطى،

واعتمدت على مكائنها كقوة روحية، وعن ما تورط به بابوات مثل أنو سنت الثالث على نحو متزايد في سياسة القوة، وصار دورها الروحي غير واضح، فقرارات الحرمان الصادرة عنها غالبا ما كانت لأسباب سياسية، وأصبحت الدعوة إلى حرب صليبية ضد إمبراطور في غرب أوروبا، وهذا ما أدى إلى انخراط معنى الحملة الصليبية ووصل الوقت الذي دعا فيه البابا إلى حرب صليبية دون استجابة<sup>125</sup>.

نعم وصل بالأمر أن أصبحت البابوية تنادي إلى حملة صليبية جديدة، لكن دون استجابة، وذلك لأن الحماسة لها لم تكن موجودة، خاصة من طرف زعماء أوروبا في ذلك الوقت، وأيضا كان هذا الموقف راجع إلى الهزائم الثقيلة التي أنزلت بهم في مواجهتهم للمسلمين وفشل حملاتهم المتتالية، ولم يكونوا مستعدين للمزيد من المغامرات لصالح البابوية، لأن مشكلات الحكم والاقتصاد والأوضاع الاجتماعية امتصت طاقتهم، على حين استنفذت الحروب الصليبية التي دخلوا فيها تلبية لنداء البابوية سابقا في مواجهة أعدائها شرقا وغربا ما تبقى من هذه الطاقة.

وأیضا من مظاهر فشل جهود البابوية هو الصراع الكبير بين الملوك ورجال الدين، خاصة فساد رجال الدين الذين كانوا تحت إمرة البابوية، بحيث تمت الإساءة في استخدام منح الغفران بحيث لم يسهموا في دفع الضرائب المفروضة من أجل الحملات الصليبية، وكانوا ينفقون أموالهم على اقتناء الجياد الأصيلية والقرود المستأنسة والعيش في بذخ ورفاهية، بينما عملاؤهم يجمعون الأموال تحت طائلة الحرمان من بقية فئات المجتمع، ووصل الأمر إلى أن أصبح الإعفاء من الذهب في حملة صليبية يشتري بالمال<sup>126</sup>، لكن هذه الأموال لم تصرف كلها على المشروع الذي جمعت من أجله، بل ذهب القسم الأكبر منها إلى جيوب رجال الدين والخزينة البابوية، إضافة إلى هذا فقد ظلت التبرعات تجمع حتى بعد توقف الحروب الصليبية<sup>127</sup>.

ويمكن أن نبرز أكبر دليل على تحول أهداف الحملات الصليبية وفشل البابوية في قيادتها، هو سقوط القسطنطينية على يد اللاتين، وتدميرها على ذلك الشكل في الحملة الرابعة 1204م/601هـ. لقد كان كارثة بكل المقاييس على فكرة الحروب الصليبية، وكأن الحركة ذاتها

تنتحر، فمن قبل كان الإعلان عن ميلادها موجها لحرب "الكفار"، وقصد بهم البابا أربان الثاني حينئذ المسلمين، أما الآن فإن نطاق الكفار امتد ليشمل المخالفين لكنيسة روما سواء دينيا أو سياسيا<sup>128</sup>.

وأهم ما يلفت النظر فيها أن الصليبيين في الشام تأثروا بحد كبير بالأحوال التي سادت الغرب الأوروبي وخاصة السياسية، التي تميزت خلال هذه الفترة بالصراع بين الامبراطورية والبابوية، ومحاوله كل طرف منها استخدام الإمارات الصليبية كورقة سياسية في هذا الصراع المرير، وأبرز مثال على ذلك ما حققه الامبراطور فريديريك الثاني من نجاح في الحملة السادسة لكن البابا جيريجوري التاسع استطاع إثارة صليبي الشام ضده، وأظهر لهم أنه نجاح ظاهري ولن يأتي بفائدة لهم، مما أدخل المنطقة في حرب أهلية بين أنصار الإمبراطورية وأنصار البابوية في بلاد الشام، واستمرت فترة طويلة لولا انشغال بني أيوب بخلافاتهم الداخلية، واحترامهم للهدنة الموقعة مع الإمبراطور لانهار الكيان الصليبي في تلك الفترة<sup>129</sup>.

## 6. خاتمة:

كان للبابوية الدور الرئيسي في قيادة الحركة الصليبية، فهي التي دعت إليها وروجت لها، وكرست وقتا كبيرا في الدعاية لها، وبندل البابوات أقصى جهودهم في دعم وحماية الإمارات الصليبية في بلاد الشام، خاصة بعد الخطر الذي أصبح يهدد وجودهم بظهور الأيوبيين ومن بعدهم المماليك، وبداية تهاوي الكيانات الصليبية في بلاد الشام.

وهنا كان على البابوية أن تضطلع بالدور الفعال للحفاظ على ما تبقى من وجود للصليبيين، بحيث تجسد ذلك بإعلانها الغفران التام لما تقدم من الذنوب وما تأخر لمن يحمل الصليب الى الشرق، وأسبغت نعمها وحمايتها على الفرق والهيئات الدينية العسكرية، وفرضت الضرائب وجمعت الأموال، وأعلنت مسؤوليتها وحمايتها لكل أملاك الداهبين للأراضي المقدسة، وحاولت جعل كل زمام المبادرة ومقائيد الأمور الخاصة بالحركة الصليبية تحت رعايتها.

ساهم الدعم البابوي للإمارات الصليبية في بلاد الشام في استمرارها لمدة قرن آخر في ديار المسلمين، واستطاعت أن تحرك الجيوش اتجاه نصرة الصليبيين في المشرق وتجسد ذلك

خاصة في الحملات من الخامسة الى السابعة ، ولكن الصراع السياسي الذي عرفه الغرب اللاتيني خلال القرن الثاني من الحروب الصليبية الدور الكبير في تراجع مكائتها وتهاوي الحرب الصليبية ككل ، حيث أنه أنهك القوى الأوروبية وشتت جموعها ، وظهر ذلك جليا أثناء الحملة السادسة كمثال ، وهذا الامر استهلك الكثير من طاقات الغرب الأوروبي وجعلها لا تتفرغ بنفس الدرجة التي كانت عليها خلال القرن الثاني عشر الميلادي السادس للهجرة .

وخلال هذه الفترة ظهرت العديد من الأهداف السياسية للبابوية، جعلها تدخل في صراعات ساهمت في تراجع مكائتها الروحية، وخروج زمام المبادرة في الحروب الصليبية من يدها، وتحولها الى السلطة الزمنية.

أصبحت الحركة الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي السابع للهجري مجرد ورقة في يد البابوية ضمن أوراق اللعبة السياسية التي تلعبها وأبانت عن رغبتها الجارحة في السيطرة على العالم دينيا وزمنيا.

إن موجة الحماسة الدينية والتعصب الكبير الذي اتسمت به زعامة البابوية للحركة الصليبية ميراثا ورثه الغرب فيما بعد ضد المسلمين، وأخطر ما خلفته قيادة البابوية للحملات الصليبية وتزعمها لها هو استخدام القوة العسكرية بإسم القيم الدينية، وما نتج عن ذلك من تدمير وقتل وضحايا، وعلى المدى الطويل أصبح ذلك امرا مشروعا ما يزال اليوم قائما في نفس المنطقة لتحقيق ما لم يصلوا اليه سابقا على اختلاف أشكال الحركة حاليا.

أفلا يعلمنا التاريخ ويؤكد لنا أن الوحدة العربية والإسلامية، هي السبيل الوحيد للضمود في وجه الأطماع الاستعمارية التي لم تتوقف، فلم يهزم الصليبيون ورحلوا عن بلاد الشام وديار الإسلام إلا عندما تضافرت وتوحدت الجهود بين القادة المسلمين في جميع المناطق.

## 7. هوامش:

<sup>1</sup> حسين محمد عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (1171-1268م/567-666هـ)، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط 1، 1989م، ص 233.

<sup>2</sup> سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ط 9، 2010، صفحة 161.

- <sup>3</sup> ياسر عبد الوهاب: الدعم الأوربي للإمارات الصليبية في بلاد الشام، المكتب العربي للمعارف، مصر، ط1، 2014، ص 56.
- <sup>4</sup> عاشور، المرجع السابق، ص 162.
- <sup>5</sup> ابن اثير: الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 4، 2002، مج 9، ص 466.
- <sup>6</sup> زيبه غروسية: موجز تاريخ الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي وشرقي حوض المتوسط، ترجمة وتعليق أحمد إيش، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط1، 2014، ص 69.
- <sup>7</sup> هنري دي شامبني: جاء الى الشرق مع الحملة الصليبية الثالثة وتولى حكم بيت المقدس من 1192-1197م وهو قائد صليبي فرنسي. غروسية، المرجع نفسه، ص 70.
- <sup>8</sup> جي دي لوزيجان: ملك بيت المقدس من 1186-1192م، وبعدها انتقل الى قبرص وأصبح حاكما عليها هو وورثته من بعده. وليم الصوري: ذيل وليم الصوري، ترجمة وتصحيح حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د. ط)، 2002، ص 46.
- <sup>9</sup> ستيفن رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية مملكة عكا والحملات الصليبية المتأخرة، ترجمة نور الدين خليل، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط 2، 1998، ج 3، ص 124.
- <sup>10</sup> عاشور: المرجع السابق، ص 163. رانسيمان: المرجع السابق، ص 124.
- <sup>11</sup> حسين عطية: المرجع السابق، ص 241. رانسيمان، المرجع السابق، ص 128.
- <sup>12</sup> رانسيمان، المرجع السابق، ص 139-141.
- <sup>13</sup> الطلوشي: يرتبط قيام اماره طرابلس الصليبية برموند الصنجيلي قمص (كونت) طولوشة مدينة جنوب فرنسا وهي تولوز. السيد عبد العزيز سالم: طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د. ط)، (د.ت)، ص 135.
- <sup>14</sup> النورماندي: هم شعوب من شمال أوروبا من منطقة اسكندنافيا، استقروا في صقلية وجنوب إيطاليا وشمال فرنسا في العصور الوسطى. العبد بكري: النورمان ودول الغرب الإسلامي (العلاقات السياسية والحضارية 5-6 هـ / 11 - 12 م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 2021، ص 16-31.
- <sup>15</sup> نحي فتحي الجوهري: اماره طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 2008، ص 60.

- <sup>16</sup> محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط1، 1999، ص344.
- <sup>17</sup> ياسر عبد الوهاب: المرجع السابق، ص 68.
- <sup>18</sup> قلع أرسلان الثاني: وهو عز الدين بن مسعود قلع أرسلان، حكم سلاجقة روم في اسيا الصغرى ما بين 550 - 588 هـ / 1155 - 1192 م. محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في اسيا الصغرى، دار النفائس، لبنان، (د. ط)، 2002، ص 161.
- <sup>19</sup> الظاهر الغازي: من ابناء صلاح الدين، كان نصيبه بعد وفاة والده منطقة حلب وما جاورها. قاسم عبده قاسم، علي السيد علي: الأيوبيين والمماليك في التاريخ السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، ص 84.
- <sup>20</sup> العادل: اخ صلاح الدين، استطاع ان يقضي على الفوضى بعد وفاة صلاح الدين وازدادت السلطنة في عهده اتساعا ووطد دعائمها. قاسم عبده، علي السيد علي، المرجع نفسه ص 84
- <sup>21</sup> محمد سهيل طقوش: تاريخ الحروب الصليبية حروب الفرنجة في المشرق 489 - 690 هـ / 1096 - 1291 م، دار النفائس، لبنان، ط1، 2011، ص 527.
- <sup>22</sup> ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 91.
- <sup>23</sup> عن حوادث هذا النزاع انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، (د. ط)، 1976، ص ص 351 - 405. وكذلك جوزيف نسيم يوسف: تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د. ط)، 1984، ص ص 178 - 200.
- <sup>24</sup> رأفت عبد الحميد: الفكر السياسي الأوربي في العصور الوسطى، دار قباء، القاهرة، (د. ط)، 2002، ص 51 - 56.
- <sup>25</sup> كان أعظم ملوك أوروبا، حكما المانيا وشمال إيطاليا وصقلية وبيت المقدس، قاد الحملة الصليبية السادسة، 1229 م.، ودخل في نزاع طويل مع البابوية حول السمو والسيطرة على العالم.
- <sup>26</sup> رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص 66.
- <sup>27</sup> ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 174 - 175.
- <sup>28</sup> سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ص 281 - 282.
- <sup>29</sup> ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 91.

- <sup>30</sup> إمبراطور روماني حكما ما بين (305 – 337 م)، امر ببناء القسطنطينية، واعتبر لأول مرة المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية في مرسوم ميلان 313 م. جوزيف نسيم يوسف، أوروبا العصور الوسطى، ص 23.
- <sup>31</sup> معركة وقعت سنة 1212 م/ 609هـ في شمال الأندلس، وبها تراجع المسلمون في المنطقة، وكانت من دلائل بداية سقوط دول الموحدين.
- <sup>32</sup> للبابا الحق في إصداره على معارضيه، يقاطع بموجبها من صدر في حقه دنيا ودينويا، وقد يفرضها البابا ضد مدينة او قطر بكامله. احمد مسيلي: درو البابوية في الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي (488 – 588 هـ/ 1095 – 1192 م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر 02، 2016، ص 32.
- <sup>33</sup> رأفت عبد الحميد، الفكر السياسي، ص 60-66.
- <sup>34</sup> رأفت عبد الحميد، قضايا من الحروب الصليبية، ص 25.
- <sup>35</sup> اعتلى الكرسي البابوي في 08 جانفي 1198م، في يوم وفاة البابا اربان الثالث، واسمه في الأصل لوثاريو كوتني Lotarion count، وهو من أسرة رومانية نبيلة، وقد درس اللاهوت في باريس، والقانون الكنسي في بولونيا وله عديد المؤلفات الدينية. عبد اللطيف الهادي السيد: في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب الساسة الصليبية للبابا انوسنت الثالث (1198-1216م)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، (د. ط)، 2005، ص ص 12-24.
- <sup>36</sup> جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى، ص 189.
- <sup>37</sup> ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 75.
- <sup>38</sup> رأفت عبد الحميد، قضايا من تاريخ الحروب الصليبية، ص 47-48.
- <sup>39</sup> أحمد مسيلي، المرجع السابق، ص 147.
- <sup>40</sup> نفسه، ص 150-151.
- <sup>41</sup> وهو القائم بأمر الدين المسيحي في بلاد الشام كلها، يأتي تعيينه من البابا. أحمد مسيلي، المرجع السابق، ص 30.
- <sup>42</sup> قاسم عبده قاسم: الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية دراسة عن الحملة الأولى 1095-1099م، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط 1، 1999، ص 121.
- <sup>43</sup> عاشور، الحركة الصليبية، ص 183.

- <sup>44</sup> الداوية: أو فرسان المعبد، هيئة دينية عسكرية أسست في بلاد الشام بعد الحملة الأولى بجوالي عشرون سنة، هدفها حماية وحراسة الحجاج، ثم أصبحت أكبر هيئة عسكرية صليبية في الشرق. نبيلة إبراهيم مقامي: فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، مطبعة جامعة القاهرة، مصر، (د. ط)، 1994، ص 17 – 18.
- <sup>45</sup> ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 48.
- <sup>46</sup> مصطفى محمد الحفناوي: جماعة الفرسان الاستبارية ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي في عصر الحروب الصليبية، مكتبة الرشد، السعودية، (د. ط)، 2004، ص 295.
- <sup>47</sup> ميشال بيلار: الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر الى القرن الرابع عشر، ترجمة بشير سباعي، عين للدراسات والبحوث، مصر، ط 1، 2003، ص 217. عبد اللطيف الهادي، المرجع السابق، ص 60 – 61.
- <sup>48</sup> عبد اللطيف الهادي، المرجع السابق، ص 97.
- <sup>49</sup> نفسه، ص 96.
- <sup>50</sup> فايز نجيب إسكندر: تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، توزيع الكتب العلمية، مصر، (د. ط)، (د. ت)، ص 193.
- <sup>51</sup> عبد اللطيف الهادي، المرجع السابق ص 46. فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق ص 205.
- <sup>52</sup> رانسيمان، المرجع السابق، ص 150 – 153.
- <sup>53</sup> روبرت كلاري: فتح القسطنطينية على يد الصليبين، ترجمة حسن حبشي، (د. م)، (د. ن)، (د. ط)، 1964 ص 49 – 66. قلهداردوان: من مذكرات قلهداردوان فتح القسطنطينية، ترجمة حسن حبشي، جامعة الملك عبد العزيز، ط 1، 1403 هـ، ص 77.
- <sup>54</sup> ليلي عبد الجواد: السياسة الخارجية للملكة اللاتينية في القسطنطينية (1204 – 1261 م / 602-659 هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، مصر، 1980، ص 36.
- <sup>55</sup> أسمت غنيم: الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرفها ضد القسطنطينية، دار المعارف، مصر (د. ط)، 1982، ص 112-113. وانظر كذلك رانسيمان، المرجع السابق، ص 171.
- <sup>56</sup> رانسيمان، المرجع نفسه، ص 142.
- <sup>57</sup> ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 85.

- 58 هانس إبراهيم ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق عماد الدين غانم، دار الهدى، العراق، ط 1، 2009، ص 282.
- 59 ياسر عبد الوهاب، المرجع نفسه، ص 85.
- 60 رينيه غروسيه، المرجع السابق، ص 70. وانظر كذلك أسمى غنيم: تاريخ الحروب الصليبية، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، 1996، ص 169.
- 61 ارنست باركر: الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريبي، دار النهضة العربية، بيروت، ط 2، (د. ت)، ص 104.
- 62 ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 96.
- 63 رانسيمان، المرجع السابق، ص 185.
- 64 عاشور، الحركة الصليبية، ج 2، ص ص 204-205. وكذلك محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية، العلاقات بين الشرق والغرب، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط 1، 1999-2000، ص 282.
- 65 ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 100. وأيضا رأفت عبد الحميد، الفكر السياسي، ص 117.
- 66 رانسيمان، المرجع السابق، ص 191. أيضا قاسم عبده، المرجع السابق، ص 124.
- 67 سعيد عمران: الحملة الصليبية الخامسة، دار المعارف، الإسكندرية، (د. ط)، 1985، ص 148. أيضا رأفت عبد الحميد، قضايا من الحروب الصليبية، ص 56.
- 68 جوزيف نسيم يوسف: العدوان الصليبي على بلاد الشام، هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، ط 3، 1971، ص 46.
- 69 ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 105.
- 70 سعيد عمران، المرجع السابق، ص 149.
- 71 رانسيمان، المرجع السابق، ص 192.
- 72 نفسه، ص 159.
- 73 ميخائيل زايروف: الصليبيون في الشرق، ترجمة الياس شاهين، دار التقدم، موسكو، (د. ط)، 1986، ص 259.
- 74 رانسيمان، المرجع السابق، ص 196.
- 75 عاشور، المرجع السابق، ص 210-212.
- 76 رانسيمان، المرجع السابق، ص 197.

- <sup>77</sup> ابن أثير، المصدر السابق، ج 10، ص 373.
- <sup>78</sup> رانسيان، المرجع السابق، ص 216.
- <sup>79</sup> الكامل: هو مُجد بن العادل الأيوبي ورث عن ابيه طريقته في السياسة والحكم من أبرز مواقف السامح لفرديريك باسترداد بيت المقدس دون قتال 1228م/626هـ. السعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، (د. ط)، 1972. ص 96.
- <sup>80</sup> المعظم: عيسى ابن أخ صلاح الدين كان حاكما للشام. عبد الفتاح عاشور، نفسه، ص 97.
- <sup>81</sup> حسين عطية، المرجع السابق، ص 318.
- <sup>82</sup> ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 119. وكذلك عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج 2، ص 236.
- <sup>83</sup> ياسر عبد الوهاب، نفسه، ص 124.
- <sup>84</sup> عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ص 353. ياسر عبد الوهاب، نفسه، ص 124.
- <sup>85</sup> عاشور، الحركة الصليبية، ج 2، ص 236. وكذلك ارنتست باركر، المرجع السابق، ص 112. وانظر أيضا
- أسمت غنيم، تاريخ الحروب الصليبية، ص 198.
- <sup>86</sup> زابوروف، المرجع السابق، 181.
- <sup>87</sup> MICHAUD, Joseph Francois, THE HISTORY OF CRUSADES, translated by W. ROBSON, NEW YORK, 1891, P268.
- <sup>88</sup> ابن الملك فليبيب أغسطس تولى العرش الفرنسي بعد وفاة والده عام 1223م/620، فحكم فرنسا حتى عام 623 هـ /1226م. للمزيد: عاشور، ج 1، ص 229، 1986.
- <sup>89</sup> مونرو ند مكسيموس، تاريخ الحروب الصليبية في المشرق المدعوة حرب الصليب، تر: مكسيموس مظلوم، دير الرهبان الفرنسييسكان، القدس، 1865. ج 2، ص 270.
- <sup>90</sup> نفسه، ص 271.
- <sup>91</sup> عاشور، عصر الأيوبيين والمماليك، ص 96-97. ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 129-130.
- <sup>92</sup> ابن واصل، مفرج الكرب، ج 4، ص 248-251.
- <sup>93</sup> عاشور، الحركة الصليبية، ج 2، ص 247.
- <sup>94</sup> مُجد فوزي رحيل: نهاية الصليبيين (فتح عكا 648-690 هـ /1250-1291م)، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، (د. ط). 2009، ص 145.

- <sup>95</sup> مُجَّد مرسي الشيوخ: عصر الحروب الصليبية في الشرق، مطبعة السعادة، (د. م)، (د. ط)، 2004، ص 295-296. وانظر فوزي رحيل، المرجع السابق، ص 152.
- <sup>96</sup> مرسي الشيوخ، المرجع السابق، ص 495.
- <sup>97</sup> قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، ص 128.
- <sup>98</sup> ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 153.
- <sup>99</sup> متى الباريسي: التاريخ الكبير، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تحقيق سهيل زكار، (د. ن)، دمشق، 2001، ج 40، ص 304-307.
- <sup>100</sup> حول فتح القدس 642 هـ / 1244م انظر: ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، حققه وراجعته حسنين مُجَّد ربيع، سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1957، ج 5، ص 336-337. المقرئزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق مُجَّد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1997، ج 1، ص 420-424.
- <sup>101</sup> ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 172.
- <sup>102</sup> نفسه، ص 174.
- <sup>103</sup> مُجَّد مصطفى زياد: حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصور، (د. ن)، القاهرة، ط 1، 2000، ص 75-78. وأيضا روثلان: تنمة كتاب وليام الصوري لمؤلف مجهول المنسوب خطأ الى روثلان (1229-1261)، ترجمة وتعليق أسامة زكي زيد، الدلتا للطباعة، الإسكندرية، 1989، ص 139.
- <sup>104</sup> عاشور، الحركة الصليبية، ج 2، ص 281. باركر، المرجع السابق، ص 120.
- <sup>105</sup> W.B. STEVENSON: THE CRUSADERS IN THE EAST, CAMBRIDGE, LONDON, 1907, P329.
- <sup>106</sup> جوزيف نسيم يوسف: العدوان الصليبي على بلاد الشام، هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، ط 3، 1971، ص 115-116.
- <sup>107</sup> STEVENSON, OP-CIT, P325.
- <sup>108</sup> عاشور، أوربا العصور الوسطى، ص 91-100.
- <sup>109</sup> باركر، المرجع السابق، ص 125. قاسم عبده، الأيوبيين والمماليك، ص 160،
- <sup>110</sup> باركر، المرجع السابق، ص 162.
- <sup>111</sup> حسين عطية، المرجع السابق، ص 426.

- <sup>112</sup> هو رينالدو دي سيجيني Rinaldo de signee، تولى الكرسي البابوي خلفا لانوسنت الرابع في 12 ديسمبر 1254، وكان تفكيره منصب للقضاء على اسرة الهوهنشتاوفن، وبسط سيطرته على إيطاليا وصقلية. ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، 214.
- <sup>113</sup> عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص 357.
- <sup>114</sup> حسين عطية، المرجع السابق، ص ص 370-373.
- <sup>115</sup> نفسه، ص 479.
- <sup>116</sup> مُجّد فوزي رحيل، المرجع السابق، ص 233.
- <sup>117</sup> Throop: Criticism of the Crusades in European history, Philadelphia, 2nd edition, 1975, vol12, p 16.
- <sup>118</sup> مُجّد فوزي رحيل، المرجع السابق، ص 237.
- <sup>119</sup> رانسيمان، المرجع السابق، ص 464.
- <sup>120</sup> نهي الجوهرى، المرجع السابق، ص 310.
- <sup>121</sup> ابن الحريري: الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاحين على ديار المسلمين، تحقيق سهيل زكار، مكتبة دار الملاحق، دمشق، 1981، ص 106.
- <sup>122</sup> باركر، المرجع السابق، ص 132. ويعلق المؤرخ الفرنسي رينه غروسيه على تلك الاحداث في مرارة ظاهرة قائلا: " سوريا الفرنجية أُلقيت في البحر في ربيع سنة 1291، فضاع سدى قرنان من البطولة وأحرزت اسيا ثأرها من أوروبا ". مؤنس عوض، المرجع السابق، ص 355.
- <sup>123</sup> مؤنس عوض، المرجع السابق، ص 325.
- <sup>124</sup> باركر، المرجع السابق، ص 133.
- <sup>125</sup> س. ورن هلمستر: أوروبا العصور الوسطى، ترجمة مُجّد فتحى الشاعر، مكتبة الانجلومصرية، القاهرة، د.ت، ص 196.
- <sup>126</sup> رانسيمان، المرجع السابق، ص 392.
- <sup>127</sup> فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص 192.
- <sup>128</sup> مؤنس عوض، المرجع السابق، ص 269،
- <sup>129</sup> ياسر عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 161-162.
- 5. قائمة المراجع:**

## 1.5. المصادر:

1. ابن اثير، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه مُجَّد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية (بيروت، 2002)، ط4، مج9.
2. ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، حققه وراجعه حسنين مُجَّد ربيع، سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة، 1957)، ج5.
3. المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق مُجَّد عطا، دار الكتب العلمية (بيروت، 1997)، ط1، ج1.
4. روثلان، تنمة كتاب وليام الصوري لمؤلف مجهول والمنسوب خطأ الى روثلان (1229-1261)، ترجمة وتعليق أسامة زكي زيد، الدلتا للطباعة (الإسكندرية، 1989).
5. قلهاردوان، من مذكرات قلهاردوان فتح القسطنطينية، ترجمة حسن حبشي، جامعة الملك عبد العزيز (السعودية، 1403هـ)، ط1.
6. وليام الصوري، ذيل وليام الصوري، ترجمة حسن حبشي، (د. ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 2002).

## 2.5. المراجع:

7. حسين مُجَّد عطية، إمارة انطاكية الصليبية والمسلمون (1171-1268م / 567-666هـ)، ط1، دار المعرفة الجامعية (مصر، 1989).
8. سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ط9، مكتبة الانجلو مصرية (مصر، 2010)، ج2.
9. تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، (د. ط)، دار النهضة العربية (بيروت، 1976).
10. مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك، (د. ط)، دار النهضة العربية (بيروت، 1972).
11. رينيه غروسيه، موجز تاريخ الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي وشرقي حوض المتوسط، ترجمة أحمد أيش، ط1، دار الكتب الوطنية (أبو ظبي، 2014).
12. ستيفن رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة نور الدين خليل، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 1998)، ج3.
13. السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، (د. ط)، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية، د. ت).
14. نحى فتحي الجوهري، إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي / السابع للهجري، ط1، دار العالم العربي (القاهرة، 2008).

15. مُجَّد سهيل طقوش، تاريخ سلاجقة الروم في اسيا الصغرى، (د. ط)، دار النفائس (لبنان، 2002).
16. قاسم عبده قاسم، علي السيد علي، الأيوبيين والمماليك، (د. ط)، عين للدراسات (القاهرة، د.ت).
17. مُجَّد سهيل طقوش، تاريخ الحروب الصليبية حروب الفرنجة في المشرق (489-690هـ / 1096-1291م)، ط1، دار النفائس (لبنان، 2011).
18. رأفت عبد الحميد، الفكر السياسي الأوروبي في العصور الوسطى، (د. ط)، دار قباء (القاهرة، 2002).
19. قضايا من تاريخ الحروب الصليبية، ط1، عين للدراسات والبحوث (القاهرة، 1998).
20. عبد اللطيف الهادي السيد، في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب السياسة الصليبية للبابا انوسونت الثالث (1198-1216م)، (د. ط)، المكتب الجامعي الحديث (الإسكندرية، 2005).
21. قاسم عبد قاسم، الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية، ط1، عين للدراسات والبحوث (القاهرة، 1999).
22. علوه رفاعي عبد الوهاب سليمان، موقعة العقاب وبداية النهاية للحكم الإسلامي بالأندلس (609هـ / 1212م)، مجلة بحوث العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد1، العدد الرابع، 2021.
23. نبيلة إبراهيم مقام، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، (د. ط)، مطبعة جامعة القاهرة (مصر، 1994).
24. مصطفى مُجَّد الحفناوي، جماعة الفرسان الأستبارية ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي في عصر الحروب الصليبية، (د. ط)، مكتبة الرشد (السعودية، 2004).
25. ميشال بيلار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر الى القرن الرابع عشر، ترجمة بشير سباعي، ط1، عين للدراسات والبحوث (مصر، 2003).
26. فايز نجيب إسكندر، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، (د. ط)، توزيع الكتب العلمية (مصر، د. ت).
27. سعيد أحمد برجواي، الحروب الصليبية في المشرق، ط1، دار الافاق الجديدة (بيروت، 1984).
28. روبرت كلاري، فتح القسطنطينية على يد الصليبيين، ترجمة حسن حبشي، (د. ط)، د. ن (مصر، 1964).

29. ليلي عبد الجواد، السياسة الخارجية للمملكة اللاتينية في القسطنطينية (1204-1261 / 602-659هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة (مصر، 1980).
30. أسمت غنيم، الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية، (د. ط)، دار المعارف (مصر، 1982).
31. تاريخ الحروب الصليبية، (د. ط)، (د. ن)، 1996.
32. هانس ابر هارد ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق عماد الدين غانم، ط1، دار الهدى (العراق، 2009).
33. ارنست باركر، الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريضي، ط2، دار النهضة العربية (لبنان، د. ت).
34. مُجَّد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ط1، عين للدراسات والبحوث (القاهرة، 1999-2000).
35. محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة، (د. ط)، دار المعارف (الإسكندرية، 1985).
36. ميخائيل زابروف، الصليبيون في الشرق، ترجمة إلياس شاهين، (د. ط)، دار التقدم (موسكو، 1986).
37. مُجَّد فوزي رحيل، نهاية الصليبيين، (د. ط)، عين الدراسات والبحوث (القاهرة، 2009).
38. مُجَّد مرسي الشيخ، عصر الحروب الصليبية في الشرق، (د. ط)، مطبعة السعادة (د. م)، 2004.
39. قاسم عبد قاسم، ماهية الحروب الصليبية، (د. ط)، عالم المعرفة (الكويت، 1990).
40. سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، (د. ط)، (د. ن) دمشق، 2001، ج 40.
41. مُجَّد مصطفى زياد، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، ط1، د. ن (القاهرة، 2000).
42. مونوند مكسيموس، تاريخ الحروب المقدسة في المشرق المدعوة حرب الصليب، تر: مكسيموس مظلوم، د. ط، دير الرهبان الفرنسييسكان، القدس، 1865، ج2.
43. أحمد مسيلي، دور البابوية في الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي (488-588هـ/ 1095-1192م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر 2، 2016.

44. العيد بكري، النورمان ودول الغرب الإسلام، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 2021.

### 3.5. المراجع الأجنبية

45. W.B. STEVENSON, THE CRUSADERS IN THE EAST, CAM BRIDGE, LONDON, 1907.
46. Throop, Criticism of the Crusades in European history, Philadelphia, 2nd edition, 1975, vol12.
47. Haworth, Henry H: History of the Mongols from the 9th to the 19th century, vol3, London, 1876-1927.
48. Michaud, Joseph Francois, THE history of Crusades, translated by W. ROBSON, New York, 1891.